الجمهورية الجزائريّة الديمقراطية الشعبيّة
وزارة التعليم والبحث العلميّ
جامعة غرداية
كليّة الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

دراسة دلالية بلاغية لآي الجبال الرّواسي

النّصف الثّاني عيّنة

مذكّرة مقدَّمة لاستكمال متطلَّبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص لسانيات عربية

إعداد الطّالبتين:
- نجوى بورقعة
- جميلة خينش

إشراف:
أ.د/ محمد السّعيد بن سعد

الموسم الجامعي: 2021 – 2022 م / 1442–1443 هـ

الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشعبيّة
وزارة التّعليم والبحث العلميّ
جامعة غرداية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

دراسة دلالية بلاغية لآي الجبال الرّواسي

النّصف الثّاني عيّنة

مذكّرة مقدَّمة لاستكمال متطلّبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصّص لسانيات عربيّة

إعداد الطّالبتين:

- نجوى بورقعة
- جميلة خينش

إشراف:

أ.د/ محمد السّعيد بن سعد

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصّفة
سليمان بن سمعون	أ . ت . ع	جامعة غرداية	رئيسا
محمّد السّعيد بن سعد	أ . ت . ع	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
جويدة يوسف تومي	أ . م . أ	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 2021 – 2022 م / 1442–1443 هـ

معلومات التّوثيق والأرشفة:

- **عنوان البحث:**

دراسة دلالية بلاغية لآي الجبال الرّواسي

"النصف الثاني عينة"

A rhetorical semantic study of the verse of the mountains al-Rawasi in the second half of the holy Quran

قائمة الاختصارات المستعملة:

الرمز	معناه
تح	تحقيق
ط	الطبعة
(د.ت.ن)	دون تاريخ نشر
(د.د)	دون دار نشر
ص	الصفحة
ج	الجزء

ملخّص البحث:

وسمنا موضوعنا بـ: "دراسة دلاليّة بلاغيّة لآي الجبال الرّواسي في النّصف الثّاني من القرآن الكريم"؛ بحيث تناولنا فيه: مفهوم الجبال والرّواسي، والعلاقة بين الجبال والمسميات التي ترادفها من جهة، وتختلف عنها من جهة بحسب السّياق القرآني الذي وردت فيه؛ ممّا أدى بنا إلى اللجوء إلى الحقول الدّلالية مشفوعة بالدّراسة البلاغية من خلال الوقوف على الظّواهر البلاغيّة في آيات الجبال والرّواسي.

اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي مع الإجراء التّحليلي في وصف خصائص الجبل وبعض المسميات، وفي وصف الظّواهر البلاغيّة وتحليلها، كما لجأنا إلى المنهج الاستقرائي في استنتاج الحقول الدّلالية والظواهر البلاغيّة.

خلصنا إلى نتائج نذكر منها:

- أهميّة الجبال في الكون من خلال كثرة مسمياتها في القرآن الكريم.
- تنوّع الجبال في القرآن يحيل إلى تقسيمها إلى حقول دلاليّة.
- هذا التّنوّع ينمّ على ثراء فني يشعّ من خلال آيات الجبال والرواسي، ولاسيما تلك الآيات التي تحمل وظيفة هذه الجبال؛ إذ منها نستنبط القانون الذي أودعه الله فيها، والذي يحق الإعجاز البياني والكوني للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: " الجبال – الرّواسي – الحقول الدّلالية – الظّواهر البلاغية – القرآن الكريم ".

Resumé:

We called our topic: "a rhetorical semantic study of the verse of the mountains al-Rawasi in the second half of the Holy Qur'an";

The resarch deals mainly with the meaning of mountains and al Rawasi, and the relationship between mountains and the names that are synonymous with them on one hand, and differ from them on the other hand, according to the Qur'an context in which they are mentioned. This led us to resort to the semantic fields accompanied by rhetorical study by examining the rhetorical indications in the verses of the mountains and Al-Rawasi.

In our research, we relied on the descriptive approach with the analytical procedure in describing the characteristics of mountains and some names, and in describing and analyzing rhetorical indications.

We also resorted to the inductive approach in deducing semantic meanings and rhetorical indications.

The following results were deducted :

- The importance of mountains in the universe through the many names used to identify them in the Holy Quran.
- The diversity of mountains in the Qur'an refers to dividing them into semantic fields.
- This diversity embodies an artistic richness that brights through the verses of the mountains and Al-Rawasi especially those verses that describes the functions of these mountains; From the latter, we induce the law that God meant for it, and which proves by right the rhetorical and cosmic miracle of the Holy Qur'an.

Keywords : Mountains - Al-Rawasi - Semantic fields - Rhetorical phenomena - the Holy Qur'an.

الإهداء:

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى إخوتي حفظهم الله بحفظه.

إلى عائلتي الصغيرة والكبيرة.

إلى كلّ من ساعدنا وساندنا في هذا العمل جزاه الله كلّ خير.

لنا.

إلى هؤلاء نهدي ثمرة جهدنا المتواضع.

نجوى وجميلة

مقدمة

مقدّمـة:

الحمد لله ربّ العالمين الكريم الأكرم، خلق الإنسان من عدم، علّم بالقلم وعلّمه ما لم يعلم هداه بكلامه للّتي هي أقوم، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين بعثه الله للنّاس أجمعين للعرب وللعجم، رحمة لهم، سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم وعلى من اقتفى أثره والتزم وبعد:

القرآن الكريم معجزة الله الخالدة إلى البشرية جمعاء، معجز ببيانه وبلاغته، وأحكامه وتشريعاته، وبحقائقه وأخباره و قصصه وغيبياته، وبسننه الكونية و آياته البديعية في الأنفس والآفاق.

فألفاظ القرآن الكريم قد تعدّدت مراميها، وتنوّعت معانيها، وتفرّعت مشتقاتها، ومن هذه الألفاظ نجد لفظة "الجبل" التي كان لها حظها في القرآن الكريم؛ بحيث وجدنا لها ذكرا كثيرا فيه، تباينت مسمياتها تبعا لتعدّد للسّياقات، من: جبل و راوس– والتي عبّر عنها القرآن بـ: "الجعل" مرّة، وبـ: "الإلقاء" أخرى –، وطور، وجودي، وعرفات... .

ذكر القرآن الجبال في أكثر من خمسين موضعا بصيغة الإفراد تارة وأخرى بالجمع، وفيها يتحدث عن صفات الجبل ووظائفه وخصائصه، أضف إلى هذا أنّ هذه المسمّيات بعضها ارتبط بالأرض وبعضها بالإنسان، وبعضها بالنّحل وآخر بأهوال القيامة، وهكذا.

إنّ هذا لأمر يدعو للتّفكر والتّدبر لمعرفة ماهية السّر الكوني الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في الجبال، لتنال هذا الحظ الوافر من الذّكر في كتابه العزيز، ولعل أعظم سرّ فيها هو حفظ توازن الأرض ومنعها من الاضطراب والميدان، فضلا عن منافعها لسائر مخلوقات الأرض، وهو الأمر الأدقّ في هذا الشأن، دون أن ننسى ما أحدثه كلّ هذا من تلوّن دلالي وفنّي عكسته هذه الآيات، وذلك هو محور موضوعنا، فكان لنا أن صغناه في عنوان وسمناه: "**دراسة**

دلاليّة بلاغيّة لآي الجبال الرّواسي في النّصف الثّاني من القرآن الكريم"،والتي نلجأ من خلالها إلى تدبّر معاني لفظة " الجبل" واستقراء معاني مرادفاتها بدقة، ولنلج موضوعنا بالوقوف على:

أولا أسباب اختيار الموضوع:

اخترنا هذا الموضوع لأسباب عديدة منها:

1. خدمة كتاب الله، وابتغاء الأجر؛ وذلك من خلال البحث في موضوع من موضوعات القرآن.
2. دراسة آيات الجبال دراسة دلالية بلاغية، تكشف لنا عن بعض ما في أسلوب القرآن العظيم من اختيار للألفاظ وفق سياقاتها المناسبة.
3. رغبتنا الملحّة في التّعرف على لطائف القرآن والتّطلع إلى سرّ بلاغته وإعجازه.
4. حاجة المكتبة اللغوية لمثل هذه الألوان من الدّراسة.

ثانيا أهداف البحث وغاياته:

لهذا البحث أهداف وغايات عديدة نذكر أهمها:

1. الإسهام في إثراء المكتبة العربية والإسلامية بموضوع، من شأنه أن يحفّز الطّالب للإقبال على القران الكريم؛ قراءة، وتدبّرا، وحفظا؛ لصقل لغته وتهذيبها.
2. التعرف أكثر على دلالات الجبل في القرآن الكريم من خلال مسمياته.
3. الوقوف على الحقول الدلالية للآيات الجبال وما تزخر به من ظواهر بلاغية.

ثالثا إشكالية البحث:

إشكالية بحثنا صغناها في سؤال رئيسي: أين يكمن السّرّ البلاغي في التّعبير بجعل وألقى، والتّنويع في مسميات الجبال؟

تفرّعت عن هذه الإشكالية أسئلة جزئيّة هي:

1. ما الفرق بين التّعبير بألقى والتّعبير بجعل في الآيات القرآنية ؟
2. ما الفرق بين التّعبير بالرواسي وغيرها من مسميات الجبل؟
3. وما السّر البلاغي في كلّ هذا؟

رابعا منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي المشفوع بالإجراء التّحليلي؛ وذلك من خلال تفسير لفظة الجبال الرّواسي وباقي مسمّياتها متّبعين الخطوات الآتيّة:

1. ذكر معاني الألفاظ في المعاجم العربية والتّفاسير القرآنيّة.
2. الرّجوع للآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة الجبل أو إحدى مشتقّاتها في القرآن الكريم.
3. تفسير الآيات تفسيرا موضوعيّا، وذلك بالرّجوع لمختلف كتب التّفاسير.
4. تحليل الظواهر البلاغيّة الواردة بالآيات.

كما اعتمدنا المنهج الاستقرائي في استخراج الحقول الدّلاليّة، والظّواهر البلاغيّة.

خامسا خطة البحث:

جاء بحثنا في تمهيد وفصلين:

- **تمهيد: من بلاغة ألفاظ القرآن الكريم.**
- **الفصل الأوّل: الجبال والرّواسي.**
- **الفصل الثّاني: الحقول الدّلالية لآيات الجبال الرّواسي والظواهر البلاغيّة بها.**

المقدمة: تشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث وغاياته، وكذا الإشكالية التي تدور حولها الدراسة، بالإضافة إلى منهج البحث والدراسات السابقة.

هيكلة البحث:

التمهيد: ألفاظ القرآن الكريم.

❖ **الفصل الأول الجبال والرّواسي:** جاء في ثلاثة مباحث.

1- **التّعريف بالجبال والرّواسي؛** تناولنا فيه مفهوم الجبال و الرّواس بحسب ما ورد في المعاجم، وما ورد في التّفاسير.

2- **التّعبير بألقى وجعل؛** تناولنا فيه مفهوم "ألقى" و"جعل" بحسب ما ورد في المعاجم، وما ورد في التّفاسير.

3- **العلاقة بين الجبال الرّواسي وغيرها من المسمّيات؛** بحيث تطرقنا إلى بعض مرادفات الجبل في القرآن وعلاقتها بالجبل، بخاصة الواردة في النّصف الثّاني.

❖ **الفصل الثّاني:الحقول الدّلالية لآيات الجبال الرّواسي والظواهر البلاغيّة بها.**

أدرجنا تحت هذا الفصل مبحثين:

1- الحقول الدلالية للآيات؛ بحيث أدرجنا في هذا المبحث الحقول الدّلاليّة التي وقفنا عليها من خلال السّياقات المختلفة.

2- الظّواهر البلاغية في الآيات: بحيث قمنا باستخراج الظواهر البلاغيّة التي بدت لنا في آيات الجبال، باعتبار المعاني، والبيان، والبديع.

الخاتمة: ضمنّها النّتائج التي وصلنا إليها من خلال البحث.

سادسا الدّراسات السابقة:

1. آيات الله المدهشة – الجبال نموذجا وأسرار الاستعمال– للدكتور الضلابي، مقال تناول فيه الباحث: الجبال في منهج القرآن الكريم، وعبودية الجبال لله، وإعجاز الحديث القرآني عن خلق الجبال.

2. اشراقات علميّة حول آيات الجبال و الرّواسي للدّكتور حسني حمدان الدّسوقي حمامة، مقال تناول فيه الباحث:المعنى اللغوي لكلمة جبل وجبال، الإعجاز التّاريخي المتعلق بالجبال، الإعجاز الوصفي للجبال، سير ومرور الجبال وتقطيع الأرض، سير إزالة الجبال، ترتيب معجز في بيوت النّحل، أكنان من الجبال، طول الجبال، خرر الجبال، شموخ الجبال والماء كمًّا وكيفًا، الرّواسي والأنهار، رواسي فيها من فوقها، اتزان الأرض بالجبال، رسو الجبال، جُدَد من الجبال.
3. التّفسير العلمي ووجوه إعجاز القرآن الكريم. مقال للدّكتور حسني حمدان الدّسوقي تحدّث فيه عن وجوه الإعجاز من: الإعجاز بالنظم،الإعجاز بالأسلوب، الإعجاز بعدم التناقض، الإعجاز التّاريخي، الإعجاز الأخلاقي، وغير ذلك بما يزيد عن عشرة أنواع، من خلال كلّ يتعرّض للإعجاز في الجبال.

هذه الدّراسات ركّزت تركيزا واضحا على الجانب الإعجازي، رغم أنّنا استفدنا منها كثيرا في بحثنا هذا، والذي يتميّز عنها بتركيزه على الجانب اللغوي والفني.

سابعا الصعوبات:

واجهتنا في هذا البحث عدة صعوبات، أبرزها:

1. نذرة وقلة الدّراسات حول هذا الموضوع.

2.مشكلة ضيق الوقت.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نخلص إلى ضرورة البحث في هذا المجال الخصب مع لزوم التدقيق والتحليل وذلك ضمن بحوث ودراسات وملتقيات.

كما نحمد المولى عز وجل على فضله ومنّه متمنيين أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث.

ثامنا كلمة شكر:

انطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم: (من لا يشكر النّاس لا يشكر الله)، واعترافا بالفضل لأهله نتقدم بجزيل الشّكر والتّقدير والعرفان بالحقّ إلى:

أستاذنا الدّكتور "محمّد السّعيد بن سعد" حفظه الله ورعاه، الذي تفضل بقبول الإشراف على رسالة التّخرج، والذي منحنا الكثير من وقته وجهده وخبرته، فلم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه وإرشاداته، بل إنّه كان السّند في كلّ كبوة، والعون عند كلّ حاجة، فكان نعم المشرف الذي لمسنا فيه العلم الوافر والنّصيحة السّديدة وبشاشة الوجه وسعة الصّدر، وكان له الفضل الكبير بعد الله عز وجل في إخراج هذا الجهد، متمنين له دوام الصّحة والعافية، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته يوم القيامة.

كما نتقدم بجزيل الشّكر والتّقدير إلى لجنة المناقشة لتفضلهم قبول قراءة هذه المذكّرة، وكلّنا ثقة بأن ملاحظتهم السّديدة سيكون لها بالغ الأثر في إثرائها وإخراجها في أحسن صورة، فجزاهم الله عنّا خير الجزاء.

غرداية في:2022/06/04

01- الطّالبة: نجوى بورقعة.

02- الطّالبة:جميلة خينش.

تمهيد

تمهيد:

للقرآن الكريم جمال في دقة اختيار ألفاظه؛ ذلك أنّها تختزن طاقة بيانيّة، تقود القارئ إلى الاعتبار والتأثّر، كما حدث لكثير من الكفّار ومشركي قريش؛ ما جعل ألدّ أعداء الإسلام، وهو أحد أساطين البلاغة في العصر الجاهلي، الوليد بن المغيرة يقول بعد ما سمع آيات من القرآن: "والله إنّ له لحلاوة, وإنّ عليه طلاوة، وإنّه يعلو ولا يعلى عليه"[1].

وبالألفاظ تتشكّل تراكيب وأساليب تحدى بها الحقّ هؤلاء العرب، بل والخلق جميعا، فلم يستطع أحد أن يجاري القرآن مهما أوتي من البلاغة والفصاحة، ولن يستطيع ذلك أحد عبر الزّمان،قال تعالى:﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[البقرة:21-24]

ومن أمثلة دقة ألفاظ القرآن وتراكيبه قوله تعالى:﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾[يوسف 17]، عبّر إخوة يوسف عن فقدهم لأخيهم يوسف بـ "أكل"، ولم يستعملوا افترس رغم أن الآكل حيوان (الذئب)، والافتراس أنسب؛ لأنّ أكل تدلّ على أنّه لم تبق منه شيئا منه اتّقاء مطالبتهم بالأثر؛ إذ في الافتراس دقّ للعنق وقتل ثمّ أكل فيبقى ما يدل على الهلاك مما سيدينهم. وفي التفسير البسيط المراد: قتله الذئب، ثم أكله دون أن يبقى منه شيئا ندفنه.

كما جاء في كتاب بيان إعجاز القرآن للخطابي، «أما قوله تعالى: (فأكله الذئب) فإن الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب، و أصل الفرس دق العنق، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلا وأتى على جميع أجزائه وأعضائه، فلم يترك منه مفصلا ولا عظما، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه. فادعوا فيه الأكل

[1] ينظر، القرطبي، ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، سورة البقرة، الآية: 18.

ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة بأثر من جسد يوسف، و لو عبروا عنه بالافتراس لما أدى هذا المعنى».[1]

ولنأخذ لفظ" أتى " في قوله تعالى: ﴿أَتَأَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[النّحل 01]،

عبّرت الآية بالماضي بدلا من الحاضر أو المستقبل يأتي أو سيأتي رغم أنّه لما يحدث بعد إيذانا بحدوثه لا محالة تأكيدا لطلاقة قدرة الله, وأنّ أمره حادث لا محالة؛ أمره بين الكاف والنّون، وهو دلالة على قربه مهما كنّا نراه بعيدا.

وفي تفسير ابن كثير: يخبر تعالى عن اقتراب السّاعة ودنوّها معبرا بصيغة الماضي الدّال على التّحقق والوقوع لا محالة.[2]

نجد في تفسير القرطبي قوله: «أتى بمعنى يأتي؛ فهو كقولك: إن أكرمتني أكرمتك. وقد تقدّم أن إخبار الله – تعالى – في الماضي و المستقبل سواء؛ لأنه آت لا محالة، كقوله: ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار».[3]

ولنقف في هذا الصّدد مع الآية التّالية، قوله تعالى:

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[هود 44]، ولنتأمل ما في هذه الآية من دقّة واختيار ألفاظ مناسبة للسياق والموقف، فهذه الآية الكريمة تصور لنا في إيجاز نهاية قصة الطوفان في عهد نوح عليه السلام ، فرغم صغرها إلا أنها جمعت بين المعاني والبيان والبديع؛ ففي علم المعاني نقف فيها على الخبر والإنشاء كليهما:

---

[1] الخطّابي، **بيان إعجاز القرآن**، تح/ محمد خلف الله_ محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر،ط3، 1976م،ص:41.

[2] ينظر،ابن كثير بن عمر،**تفسير القرآن الكريم**، دار بن حزم،د.ط، د.ت، ص: 11/ 956..

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة الرسالة، تح/ عبد الله بن الحسن، ص: 12/ 409.

أ– الخبر:وقيل، وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ.

ب– الإنشاء: يَا أَرْضُ، يا سماء (على وجه النّداء)، الأمر: أبلعي، أقلعي، بعدا (على وجه الأمر والدّعاء).

أمّا صور علم البيان فحصل ممّا في الآية من عدول في المجاز والاستعارة؛ قوله تعالى: "يا أرض"، "يا سماء" نداء للسماء وللأرض تشبيها لهم، "أبلعي ماءك" للأرض، "أقلعي" للسماء"، "استوت " للسفينة كل هذا على سبيل الاستعارة، وفي "البعد" كناية عن التّحقير[1].

وفي باب علم البديع: نجد الطّباق بين: "أرض" و"سماء"، والجناس بين:"أبلعي" و"أقلعي".

ومن الأمثلة على الدّقة والاختيار في الآية الألفاظ الموحية بالسّرعة لأمور يطلبها المقام؛ إذ الأمر جلل، فالتّعبير بالفعل المبني للمفعول "قيل" "غيض"، "أبلعي"، "أقلعي"، " استوت" "بعدا"، وكلّها ألفاظ موحيّة كـ: "استوت" فقد آثر التعبير القرآني لفظ (استوت) على غيرها، لأن الاستواء يدل على معنى لا يدل عليه لفظ آخر، فالاستواء يوحي بالاستقرار والاطمئنان، وإطلاق البلع على الابتلاع للاختصار والسرعة؛لأنّ الأمر جلل، أطلق الظلم ليتناول كنوع منه، حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم.

وحينما نقف على لفظ "**أمّة**"في القرآن نلفيه قد تعدّدت معانيه بحسب السّياق، من ذلك قوله تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت ﴾[البقرة:141]؛ تعني الجماعة من النّاس، قوله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾[الزخرف 22]؛ بمعنى الشّريعة والمنهج والطّريقة، قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة ﴾[إبراهيم:120]؛ أي الرّجل المقتدى به في كلّ شيء، قوله تعالى: ﴿وقال الذي نجا منهما واذكر بعد أمة ﴾[يوسف:45] ؛ بمعنى الفترة من الزّمن، قوله تعالى:﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾[الأنعام:38] ؛

[1] ينظر محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص: 06/ 120.

خلْق، قوله تعالى:﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[البقرة:110] ؛ يريد بها الذين آمنوا بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم، قوله تعالى:﴿كذلك أرسلناك في أمة﴾[الرعد:30] ؛ يعني الكفار، أهل الجاهليّة. وهكذا كلما تتبعنا ألفاظ القرآن، وجدنا أن اللفظ لا يكفي وحده لمعرفة دلالة الآية، فلكل لفظ أو صيغة في القرآن الكريم لها دلالة خاصة حسب ما يقتضيه السياق، و هنا تظهر أهمية فهم اللفظ القرآني على ضوء سياقه الذي ورد فيه، دون قطعه وبتره عنهما، ففي ذلك إخلال في الفهم وبعد عن القصد وتجافي عن الصواب.

وهذا ما سنتطرق له في موضوعنا الذي يتمحور حول لفظة الجبال ودلالاتها ومفرداتها المختلفة التي تتغير بتغير السياق الواردة فيه، فمثلا في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُم ﴾[النحل:15]، أي ألقى فيها جبالا رواسي عالية ثابتة، لئلا تضطرب، وقد وردت لفظة (رواسي) في القرآن الكريم في عشرة مواضع حاملة دلالة الجبال الثوابت.

وتتمثل العلاقة الدّلالية بين الجبال والرواسي، في أن القرآن قد يستغني بلفظ الرّواسي عن الجبال، وذلك لتماثلهما في الماهية،[1] لاشتراكهما في معنى واحد، فهما متفقتان دلاليا، وإنما يراد كلّ منهما في سياق معين، ليعبر عن معنى معين، وهذا ما سنفصل فيه لاحقا فهو محور دراستنا هذه.

[1] ينظر: خميس فزاع عمير، **توظيف المكان من خلال الدرس الدلالي القرآني**، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد7، المجلد2016 ص:11.

الفصل الأول :

الجبال والرّواسي

تمهيد:

جاء في كتاب آيات الله في الجبال: «وردت اللفظة "جبل" بصيغة المفرد والجمع في القرآن الكريم 39 مرة، منها: 6 مرات بصيغة المفرد، 33 مرة بصيغة الجمع، وجاءت الإشارة إلى (الجبال) بتعبير (الرواسي) في عشر آيات أخرى...»[1]، نذكر منها على سبيل التّمثيل:

- قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر:21].
- وقوله تعالى:﴿... وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[الغاشية:19].
- وقوله تعالى:﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[النازعات:32].

المتأمّل في هذه الآيات يجد أن لفظة " الجبل " تأخذ دلالة غير دلالة أختها تبعا للسّياق الذي وردت فيه؛ بحيث ارتبط بحدث معيّن.

ولننتقل إلى لفظة " الرّواسي"، في:

- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[الأنبياء:31].
- وقوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[ق:7].
- وقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[النحل:15].

[1] زغلول النجار، **من آيات الإعجاز العلمي في القرآن " المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم"**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط10، 1429هـ/2008م، ص31.

لفظة الرّواسي بدورها اختلفت باختلاف السّياق الذي وردت فيه، بحيث كلّ لفظة منها ارتبطت بشيء معيّن.

كلّ هذا سنفصّله في المباحث اللاحقة.

المبحث الأول: التّعريف بالجبال والرّواسي:

نقف في هذا المبحث على مفهوم لفظة "الجبال" ثمّ لفظة "الرّواسي"؛ ذلك أنّ لفظتي(الجبال) و(الرواسي) من أكثر الكلمات المتكررة في القرآن الكريم، والتي وردتا في كثير من المواضع؛ لذا فلا بد لنا من معرفة معانيهما وما المقصود بهما في لغة القرآن، كما نشير فيهما إلى أيٍ ورد التّعبير مرة بألقى و أخرى بجعل.

أولا: الجبال:

الجبل في اللغة: «ما علا من سطح الأرض واستطال وجاوز التّل ارتفاعا، ج. أجْبُل وجبال وأجْبَال، ويقال: فلان جبل؛ أي ثابت لا يتزحزح».[1]

وفي المعجم الأساسي العربي: جبل ج. جبال وأجبل وأجبال: ما على من سطح الأرض وجاوز التّل ارتفاعا، ومن ذلك: جبل أُحد، جبل طارق، جبال هملايا...[2]

«والجبل هو ما ارتفع من الأرض إذا عظم وطال، وجمعه (جبال) و (أجبال) و(أجبل) ويقال (أجبل) المسافر، و(تجبل) و(جابل) أي صار إلى الجبل بمعنى وصل إليه أو دخله وسكن فيه، ويقال للحية (ابنة الجبل) لأن الجبل مأواها.

و(الجبال):البدن، يقال: فلان (مجبول) أو (خطير الجبال): بمعنى أنه عظيم البدن تشبيها بالجبل».[3]

وفي المصباح المنير: «الجبل معروف والجمع جبال وأجبل على قلّة، قال بعضهم: ولا يكون جبلا إلا إذا كان مستطيلا».[1]

---

[1] مجمع اللغة العربيّة، **المعجم الوجيز**، د.ت، مجمع اللغة العربيّ، مصر، ص:101.

[2] ينظر: مجموعة من الأساتذة، **المعجم الأساسي العربي**،ص:228.

[3] زغلول النجار، **من آيات الإعجاز العلمي في القرآن " المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم"**، مرجع سابق، ص:25.

ويعرّف الجبل: «بأنه شكل من أشكال تضاريس للجبل الأرض، وأنه عبارة عن كتلة من الأرض ترتفع بشكل واضح بارزة فوق ما يحيطها، وتكون أعلى من التل».[2]

كما أن هناك مسميات للجبل بحسب ارتفاعه عن الأرض، فنجد دون الجبل "التل"، ودون التل "الربوة "أو "الرابية".

يقول تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[الحج:05]، وفي آية أخرى، قوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[المؤمنون:50].

أو "الأكمة" جمع آكام، والهضبة، العلَم، لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾[الرحمن:22]، والزُبْيَة؛ وهي أعلى من الأكمة وجمعها زُبًى.[3]

[1] أحمد بن أحمد الفيّومي، **المصباح المنير**، المكتبة العصريّة للطّباعة والنّشر، صيدا، بيروت، لبنان، ط 3، 1420هـ/1999م،ص: 119.

[2] زغلول النجار، **مرجع سابق**، ص:26.

[3] ينظر: الأمير أمين آل ناصر الدّين، **الرّافد (معجم لغوي)**، مكتبة لبنان، بيروت، ،ط 1، 1971،ج 1، ص:82.

ثانيا:الرّواسي:

«من الفعل: رسا يرسو رسوا و رسوا ومعناه: ثبت وقر، ورسا الجبل: يرسو إذا ثبت في الأرض، وجبال راسيات، والرواسي من الجبال: الثوابت الرواسخ، ويقال فلان رست قدمه:أي: ثبتت في الحرب، ورست السفينة ترسوا رسوا: بلغ أسفلها قعر الأرض وانتهى إلى قرار الماء، فثبتت وبقيت لا تسير».[1]

وجاء في المعجم العربي الأساسي: « رسا يرسو رسوًّا، الرّاسي: البناء أو الجبل ونحوهما؛ أي رسخ وثبت...»[2].

وفي المصباح المنير، قوله:«ر. س. و، رسا الشّيء يرسو رسْواً ورُسُوًّا: ثبت، فهو راسٍ، وجبال راسية وراسيات ورواس، ورست أقدامهم في الحرب؛ إذا ثبتت، ورسوت بين القوم؛ إذا أصلحت بينهم وأرسَيته بألف التّعديّة»[3].

«ويستعمل الفعل(أرسى) مجازا بمعنى: تهدئة الأمور، فيقال: رسوت بين القوم أي: أثبت بينهم إيقاع الصلح، ويقال: أرساها: غيره أي: ثبته وأقره، من مثل قوله تعالى: ﴿ والجبال أرساها﴾[النازعات:32]. والمرسى هو مكان الرسو أو زمانه، كما يقال للمصدر والمفعول به، وفي معنى الزمان داء قوله تعالى:﴿ يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ [الأعراف: 187]، أي: قيامها وزمان ثبوتها.

والمرساة الآلة التي ترسى بها السفينة، والرواسي: هي الجبال الثوابت الراسخة، واحدتها راسية، وجاءت لفظة رواسي بهذا المعنى في القرآن تسع مرات من مثل قوله:﴿ وجعلنا فيها رواسي شامخات و أسقيناكم ماء فراتا﴾[المرسلات:27].

---

[1]ابن منظور، **لسان العرب**، تح/ عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف القاهرة، طبعة جديدة، ص: 1647.

[2]مجموعة من الأساتذة، **المعجم الأساسي العربي**،ص: 523.

[3]أحمد بن أحمد الفيّومي، **المصباح المنير**، مرجع سابق، ص: 119.

وجاءت لفظة راسيات مرة واحدة في كتاب الله،وذلك في قوله: ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوارب وقدور راسيات﴾[سبإ:13]؛ أي قدور ثابتات على الأثافي، و هي الأحجار يوضع عليها القدر كي يوقد عليه ما تحته».[1]

«فالرواسي هي تلك الأجزاء الداخلية المتجدرة في باطن الأرض حيث لا يمكن رؤيتها ولا يمكن أن نتخذها بيوتا».[2]

من خلال مفهومي الجبل والرّواسي نقف على العلاقة بينهما؛ وهذا يتّضح في الأتي:

1-يدلّنا القرآن الكريم على الغاية من "الرواسي"؛ بحيث ذكرت: أحد عشر مرة، وكان المقصود بها الجبال، ثمّ إنّ وظيفتها أنها تمنع الأرض عن الميَدان،[3] نلحظ ذلك في غير ما آية، من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾[النحل:15].
- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾[الأنبياء:31].
- قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان:10].

إذ يتضح من الآيات البيّنات "الجبال الرّواسي" تثبّت الأرض، وتمنعها من الاضطراب والميلان.

2-حلّت لفظة "رواسي" محلّ لفظة "جبال" في كثير من المواضع بالاسم والصّفة.

---

[1] زغلول النجار، **من آيات الإعجاز العلمي "الأرض في القرآن"**، ط1، دار المعرفة،بيروت لبنان، 1426هـ/2005م، ص،ص:220،221.

[2] رشيد الجراح، **ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود**، 22/04/04، dr-rasheed.com

[3] ينظر: هند شلبي، **التفسير العلمي لقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق**، (د.د.ن)، تونس، 1406هـ/2008م، ص:115.

3-اكتفى سبحانه بذكر الرّواسي في آيات مع أنه ذكر لفظة الجبال واضحة صريحة في كثير من الآيات الكريمة.

4-يستغنى بلفظة عن أخرى؛ نظرا لتماثلهما في الماهية.

5-صفة الرّسو التي تدل على: الثّبات والرّسوخ في تلك الجبال واضحة فيها، لما تحملهمن نفس الدّلالة.[1]

والحاصل أن هناك علاقة دلاليّة بين الجبال والرّواسي، بل وبين الرّواسي والميَدان، والظّاهر أنّ الجبال والرّواسي كلاهما "جبل"، إلا أن الرّواسي سمّيت باعتبار وظيفتها؛ الرّسيّ والتّثبيت.

وفي العلاقة بين الجبال والرّواسي يقول ماهر أحمد الصّوفي: «أن هذه الجبال ألقاها الله من أجل أن لا تميد الأرض ولا تضطرب بالبشر، كما يتبين هنا أن القرآن قد اعتبر أن للجبال دورا في حفظ التوازن على وجه الأرض فتسكن ويستقر عليها أهلها، ولولاها لما تم لها ذلك».[2]

ومن هنا يتضح لنا أنّ الرّواسي والجبال يتقاطعان في الدّلالة؛ لاشتراكهما في معنى واحد، فهما متماثلان ومتفقان دلاليا، وإنما يرد كل منهما في سياق معين، ليعبر عن معنى معين، مقصود بذاته؛ وهذا ظاهر في أمرين: أحدهما الثّبات وعدم الاضطراب، وهذا ويتعلق بلفظة الرّواسي والثّاني: العلوّ، ويتعلّق بلفظة الجبال.[3]

---

[1] ينظر، ماهر أحمد الصوفي، **آيات الله في الجبال والصحاري والغابات**..، المكتبة لعربية، صيدا بيروت، 1428هـ/ 2007م، ص:65.

[2] ينظر:ماهر أحمد الصوفي، **مرجع سابق**، ص:67.

[3] ينظر: خميس فزاع عمير، **توظيف المكان من خلال الدرس الدلالي القرآني**، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد7، المجلد2016 ص:11.

المبحث الثّاني: التّعبير بألقى وجعل.

المفهوم اللغوي للفعل جعل و ألقى.

نظرا لتكرار هذين الفعلين في عديد من الآيات القرآنية رأينا لزاما علينا أن نتوقّف لضبط مفهومهما بحسب ما جاء في المعاجم والتّفاسير.

أولا:ألقى:

لفظة ألقى وردت في معجم اللغة العربية المعاصرة بمشتقاتها وبالدّلالة التّالية:

«ألقى: يلقي، ألق، إلقاء، فهو ملق، والمفعول ملقى، ويقال: ألقاه في الأرض و ألقاه على الأرض وأيضا ألقاه إلى الأرض: أي: طرحه، رماه وقذف به».[1]

وفي معجم الوسيط: قوله:«ألقى الله الشيء في القلوب، بمعنى قذفه، ويقال ألقى إليه القول أو بالقول أي: أبلغه إياه، ألقى إليه بالا أي اكترث به واستمع له ,يقال أيضا ألقى فلان السمع بمعنى: استمع وأصغى إليه».[2]

أما بالعودة إلى التفاسير فقد وجدنا أن معظم آراء المفسرين قد اتفقت حول معنى ألقى عند ورودها في سياق واحد، واختلفت معانيها باختلاف السياقات القرآنية الواردة فيها، وقد تتبعنا معانيها الاصطلاحية ومشتقاتها في السياق القرآني فألفينا:

أ/وردت لفظة ألقى بمعنى "تنزيل القرآن" في آيات عديدة منها:

1. قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:5].

[1] عمر أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 2008م، ص:2030.

[2] مجمع اللغة العربية، **معجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1429هـ/ 2008م،ص836.

المعنى: بعد أنأمر الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صل اله عليه وسلم بإطراح النوم، وقيام الليل، وتدبر القرآن الكريم وتفهمه، انتقل إلى بيان السبب في هذه الأمور الثلاثة، ذات التكليف الصعب الشاق، بقوله سننزل عليك يا محمد كلاما عظيما جليلا، له هيبة وروعة ودلال، لأنه كلام الملك العلام، فالحكمة من وراء ذلك التشريع الثقيل والتكاليف الشاقة تنزيل القرآن الكريم على قلبك لتكون للعالمين نذيرا.[1]

2. قوله تعالى:﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ [القصص:86].

المعنى: وما كنت ترجو يا محمد أن ينزّل عليك هذا القرآن، فتعلم الأنباء والأخبار عن الماضين قبلك من الأمم السابقة وأحوالهم من حيث إيمانهم بالله ورسله أو كفرهم وجحدهم الإيمان بالله وتعنتهم في الكفر، وكذا الأمم الحادثة بعدك، مما بم يكن بعد، مما لم تشهده ولا تشهده، ثم تتلو ذلك على قومك من قريش، إلا أن ربك رحمك، فأنزله عليك، فاحمد ربك على ما أ نعم به عليك من رحمته إياك، بإنزاله عليك الكتاب، ولا تكونن عونا لمن كفر بربك على كفره به، لتظهر بذلك حكمة الربانية بتنزيل القرآن المتمثلة بالرحمة المهداة من الله عز وجل لرسوله.[2]

فأقوال المفسرين حول الآيات تبين أن إلقاء الله عز وجل القول الثقيل والكتاب المبين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاءت بمعنى التنزيل.

ب/وردت لفظة الإلقاء بمعنى الطرح والإيقاع والرمي وذلك في آيات منها:

[1]ينظر:الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تح/ عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج29، ط1، 1415هـ/ 1994م، ص:135.

[2]ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج 6، ص:52.

1. قوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك:7].

المعنى: أي أن الكافرين إذا قذفوا وطرحوا في جهنم،كما يُطرح الحطب في النّار العظيمة.[1]

2. قوله تعالى:﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء:39].

المعنى: أي واحذر أيها المكلف أن تتخذ مع الله إلها غيره " إنما هو إله واحد" فإن فعلت ذلك فقد حق عليك أن ترمى وتطرح في نار جهنم في مهانة و ذلة، وأنت ملوم نفسك على ما اقترفت.[2]

3. قوله تعالى:﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل:29].

المعنى: أن سليمان عليه السلام كتب كتابا إلى بلقيس وقومها، وأعطاه لذلك الهدهد، فحمله، وجاء إلى بلادهم، فجاء إلى قصر بلقيس، إلى الخلوة التي تختلي فيها بنفسها، فالقاه ورماه وطرحه إليها كوة هناك بين يديها.[3]

4. قوله تعالى:﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الأعراف:150].

المعنى: يبين الحق أن سيدنا موسى طرح الألواح لما اعتراه من شدة الغضب والأسف، حينأشرف على قومه، وهم عاكفون على عبادة العجل.[4]

قوله تعالى:﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق:4].

---

[1] ينظر: علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم بيروت، ط1402،4هـ/ 1981م،ج3، ص:417.

[2]لجنة من العلماء، **الوسيط**، إشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط3، مطبعة المصحف الشريف، 1413هـ/ 1992م، ص:758.

[3]ينظر: إسماعيل عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ص:1394.

[4] ينظر: محمد علي الشوكاني، **فتح القدير**، دار المعرفة بيروت_لبنان، ط4، 1428هـ/2007م ،ص:501.

المعنى: تشير إلى أحد مشاهد يوم القيامة عندما تقوم الأرض بإلقاء ورمي وطرح كل ما في جوفها من الكنوز والموتى، وغيرهما، وخلت من ذلك خلوا تاما.[1]

التّفاسير أكّدت أنّ لفظة الإلقاء جاءت في هذه الآيات بمعنى الرّمي والطّرح والإيقاع.

ج/ وردت لفظة الإلقاء بمعنى الاستماع والإصغاء، وذلك في آيات منها:

1. قوله تعالى:﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء:223].

المعنى:«أي أن الشّياطين يسترقون السّمع من السّماء، فيسمعون الكلمة من علم الغيب، فيزيدون معها مائة كذبة، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس».[2]

«وهنا المراد بإلقاء السمع شدة الإنصات، وقوة الإصغاء إلى ما يلقى إليهم».[3]

2. قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:37].

المعنى:« أي أن في ذلك الإهلاك للأمم المكذبة السّابقة لذكر؛ أي تذكرةً وعبرةً لمن كان له قلب يعي ما يسمع ويعقل ما يوجه إليه، ويعمل بمقتضى هذا التوجيه، وهو مصغ وحاضر الذّهن وصادق العزم لتنفيذ ما جاءه من الحقّ».[4]

وهنا أكدت التّفاسير دلالة لفظة ألقى التي تكررت في كثير من الآيات والتي تحمل معنى الإصغاء والاستماع والإنصات؛ إذ إنّ "ألقى" في كلّ هذه الآيات اقترنت بالسّمع والإصغاء.

---

[1] ينظر: لجنة من العلماء، **الوسيط**، ص:1843.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ص:1387

[3] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص: 1638.

[4] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:1079.

د/وردت إحدى مشتقات ألقى بمعنى التبليغ، وذلك في آيات منها:

1. قوله تعالى:﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 86].

المعنى:ألقت إليهم الآلهة التي عبدوها من دون الله في الدنيا القول، فنطقت وأبلغت بتكذيب من عبدها، بأنها لم تكن آلهة ولا أمرتهم بعبادتها، فينطق الله الأصنام حتى تظهر عند ذلك فضيحة الكفار.[1]؛ أي أبلغوهم بكذبهم، فلفظة ألقى هنا جاءت بمعنى التّبليغ.

هـ/ وردت لفظة الإلقاء بمعنى قذف الخوف والفزع، وذلك في آيات منها:

1. قوله تعالى:﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ﴾ [آل عمران:151].

المعنى: «تتحدث الآية عن إلقاء الله عز وجل الرعب والفزع في قلوب الذين كفروا بربهم وجحدوا نبوة محمد، ممن حاربكم بأحد الرعب والجزع والهلع، بما أشركوا بالله وعبادتهم الأصنام، وطاعتهم الشيطان التي لم يجعل الله لهم بها حجة».[2]

2. قوله تعالى:﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:12].

المعنى: «تتحدث الآية عن إلقاء الرعب والفزع في قلوب الكافرين، بالخطاب للمؤمنين سأرعب الذين كفروا بقذف الخوف في قلوبهم، وأملأها فرقا حتى ينهزموا عنكم، وتتفرق

[1] ينظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة الرسالة، تح/ عبد الله بن عبد الحسن،ج12، ص:409.

[2] الطبري، **جامع بيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق،ج2، ص:344

جماعتهم فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان»،[1] الظاهر من الآيتين أنّ الإلقاء هنا جاء بمعنى القذف؛ أي قذف الرّعب في قلوبهم والخوف.

و/ وردت لفظة الإلقاء بمعنى الوضع في آيات عديدة منها:

1. قوله تعالى:﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف:107].

المعنى: ذكر الله تعالى قصة موسى مع الطّاغية فرعون، وذلك عندما قال له إن كنت يا موسى قد جئت بمعجزة من عند ربك فأظهرها لنا، فوضع موسى عصاه على الأرض ففاجأتهم بكونها ثعبانا عظيم الجثة.[2]

2. قوله تعالى:﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف:93].

المعنى: « لما عرف يوسف نفسه لأخوته سألهم عن حال أبيه، فقال كيف حال أبي؟ فقالوا: ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه، و أمرهم أن يضعوه على وجه أبيهم يعد بصيرا».[3]

3. قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰفَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه:19،20]

المعنى: أمر الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى بإلقاء عصاه ووضعها أو طرحها على الأرض ليريه من شأنها ما لم يخطر له على بال، وليكون إلقاؤها قبل إلقاء السّحرة تمهيدا لما يظهره الله على يد موسى وأخيه من المعجزات، فلما ألقاها فوجئ بأنها حية عظيمة تمشي مسرعة على بطنها.[4]

---

[1] الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**،مرجع سابق، ج4، ص:16.

[2] ينظر، مجمع اللغة العربية، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:1484.

[3] أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، **تفسير البغوي معالم التنزيل**، تح/ سيلمان الحرش وآخرون، دار طيبة، الرياض،1411هـ، ج4، ص:274.

[4] ينظر:لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:1015.

4. قوله تعالى:﴿... فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه:87].

المعنى:«قال قوم موسى ما فعلنا ذلك باختيارنا ولكن حملنا أعباءً وأحمالاً من ذهب المصريين فظنناها موضعا للمؤاخذة؛ لأنها ليست ملكا لنا وإنما استعرناها منهم في عيدنا لنردهم إليهم بعد حين، فألقينا بها في النار كما فعل السامري وكما أُمرنا»[1]، وفي تفسير الطّبري قال: فكما قذفنا نحن تلك الأثقال، فكذلك ألقى السّامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل؛ أي وضع السامري وطرح تربة الحافر.[2]

5. قوله تعالى:﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل:15].

المعنى: يذكر الله تعالى نعمة من نعمه على عباده، بأن ألقى ووضع وجعل في الأرض رواسي، وهي الثّوابت في الأرض من الجبال، حتى لا تميد بكم، وذلك أنه تعالى أرسى الأرض بوضع الجبال لئلا يميد خلقه على ظهرها، بل وقد كانت مائدة قبل أن ترسى بها.[3]

وفي تفسير ابن عاشور، قوله: «وهذه المخلوقات لما كانت مجعولة كالتكملة للأرض وموضوعة على ظاهر سطحها عبر عن خلقها ووضعها بالإلقاء...»[4]

جاء في تفسير الرازي: قوله «قال تعالى:﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [ق:7]، والإلقاء معناه الجعل ألا ترى أنه تعالى قال في آية أخرى، ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾[فصلت:10]، والإلقاء يقارب الإنزال، لأن الإلقاء يدل على طرح الشيء من الأعلى

[1] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق،ص: 1055.

[2] ينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج5، ص:214.

[3] ينظر: الطبري،**جامع البيان في تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ص:508/4.

[4] محمد الطّاهر بن عاشور،**تفسير التّحرير والتّنوير**،دار سحنون للنّشر والتّوزيع، تونس،1997م، ص:120/14.

إلى الأسفل، إلا أن المراد من هذا الإلقاء الجعل والخلق»[1]، قال تعالى:﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ [طه:39].

يتضح من خلال تتبع المعاني اللغوية والاصطلاحية للفظة ألقى ومشتقاتها أن هناك تقاطعا بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ فاللفظة تحمل نفس المعنى الذي ورد عند المفسرين، المستنبطة من الآيات القرآنية، كما نجد معانيها تتعدد وتختلف باختلاف السياق، وعادة ما يكون المعنى الاصطلاحي أعمّ و أشمل.

ثانيا: جعل:

كما أن لفظة جعل وردت بدورها بمعان في العديد من المعاجم العربية وذلك كالتالي:جاء في المعجم الأساسي العربي، قوله:جعل يجعل جعلا، الله الشيء:خلقه، ﴿...وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:01]، وجعله؛ أي صنعه وفعله، وتأتي؛ بمنى وضعه، والشيء كذا صيّره[2].

وفي المصباح المنير، (ج ع ل)؛ جعلت الشّيء جعلا؛ أي صنعته أو سمّيته، الجعل بالضّم: الأجر.[3]

وفي المعجم الوجيز: جعل الله الشّيء جعلا: خلقه وأنشأه، وفي القرآن الكريم: صنعه وفعله، والشّيء كذا، وفيه: وضعه وألقاه، والشيء كذا: صيّره إيّاه...، ويقال جعل يفعل كذا: شرع يفعله.[4]

«وجعل: يجعل، جعلا، فهو جاعل، والمفعول مجعول».[5]

---

[1] محمد الرازي،**تفسير الفخر الرازي**، دار الفكر للطباعة والنشر،ط1401،1هـ/1981م، ج20، ص:10.

[2] ينظر: مجموعة من الأساتذة، **مرجع سابق**، ص:252.

[3] ينظر: أحمد بن محمّد الفيّوموي، **مرجع سابق**، ص:57.

[4] ينظر: المجمع اللغوي المصري، **مرجع سابق**، ص:117.

[5] أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مرجع سابق، ص:378.

يقول الأزهري في معجمه تهذيب اللغة ما نصه:«"جعل"أبو العباس عن ابن الأعرابي قال:جعل: صير، وجعل: أقبل، وجعل: خلق، وجعل: قال، ويقال جعلته أحدق الناس بعلمه، أي صيرته».[1]

وقال الراغب الأصفهاني: جعل: جعل لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها، ويتصرف على خمسة أوجه، هي:

1/ يكون لازما فلا يتعدى فيجري مجرى (صار وطفق).

2/ بمعنى (أوجد) فيتعدى إلى مفعول واحد.

3/ بمعنى (خلق وصنع).

4/ بمعنى (صير) فيتعدى إلى مفعولين.

5/ بمعنى (حكم).[2]

أما بالعودة إلى التفاسير فقد وجدنا أن جعل تأتي بمعان عدة هي:

أ/وردت لفظة جعل بمعنى سمّى- التّسميّة - في آيات عديدة منها:

1. قوله تعالى:﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر:91].

المعنى:«أي أن هناك قوما من كفار مكة، اقتسموا كتاب الله فزعموا بعضه شعرا، وبعضه سحرا، وبعضه كهانة، وبعضه أساطير الأولين فهولاء هم المقتسمون الذين جعلوا القرآن

[1]أبي منصور محمد أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**،تح/ عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دار القومية العربية،1384هـ/ 1964م، ج1، ص:373.

[2]ينظر:الرّاغب الأصفهاني،**المفردات في غريب القرآن**، تح/ مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية،(د.ت.ن)، ج1،ص:122.

عضين، أي جعلوه أجزاء وفرقا، لكل جزء اسم».[1]، يقول محمّد علي الصّابوني: «...وهذه تسلية للرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم له بقولهم: سحر، وشعر، وأساطير...»[2]؛ أي سمّوه ونعتوه تارة بالسحر وأخرى بالشّعر، وثالثة بالأساطير، وغير ذلك.

2. قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف:19].

المعنى: «أي أن هؤلاء المشركين سموا الملائكة الذين هم عباد الرحمان بالإناث وقد أنكر عليهم ذلك السفه والجهل ووبخهم على افترائهم فقال أحضروا خلق الله إياهم فشاهدوهم إناثا؟»[3].

ب/ وردت لفظة جعل بمعنى أوجد وخلق – الإيجاد والخلق–في آيات عديدة منها:

1. قوله تعالى:﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام:1].

المعنى:«أي أُحمدوا الله الذي أوجد وأنشأ وابتدع خلق السموات والأرض بما فيهما، والذي أنشأ الظلمات والنور وخلق الليل والنهار يتعاقبان في الوجود».[4]، وهنا "جعل" تتعدى لمفعول واحد فقط.

ج/ وردت لفظة جعل بمعنى التصيّير والنقل من حال إلى حال في مواطن عدة منها:

1. قوله تعالى:﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة:22].

---

[1]لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:580.

[2]علي الصّابوني،**صفوة التفاسير**، مرجع سابق، ص: 116/02.

[3]لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:795.

[4]علي الصّابوني، **صفوة التفاسير**،مرجع سابق، ص:378/01.

المعنى: أي أن الله سبحانه وتعالى صيّير الأرض وجعلها مهادا وقرارا، لتستقرون عليها وتفترشونها كالبساط المفروش مع كرويتها.[1]

2. قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ﴾ [ص:5].

المعنى:«أنكر المشركون وتعجبوا من ترك الشرك بالله لأنهم كانوا قد اعتادوا على عبادة الأوثان من أبائهم، وأشربته قلوبهم، فلما دعاهم الرسول إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية، أعظموا ذلك وتعجبوا غاية العجب وأشده، فقالوا: أزعم أن المعبود واحد؟»،[2] أي من كون الرّسول صلّى الله عليه وسلّم – على لسان القرآن – صيّر الآلهة إلها واحدا، وهذا من أعجب عندهم.

د/وردت لفظة جعل بمعنى الاعتقاد في مواضع عدة منها:

1. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام:100].

المعنى:«هذا ذكر من نوع آخر من جهالاتهم، أي فيهم من اعتقد أن لله شركاء من الجن، حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان».[3] وفي التّفسير الميسّر، قوله:«وجعل هؤلاء المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة؛ اعتقادًا منهم أنهم ينفعون أو يضرون».[4]

هـ/ وردت لفظة جعل بمعنى "الحكم بالشّيء على الشّيء"، حقا كان أو باطلا في آيات منها:

1. قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7].

المعنى: «وأعلمنا أم موسى أن ترضعه وقتما تكون عليه آمنة، فإذا خافت عليه من الجواسيس ألقته في تابوت في النيل، كما أعلمناها انه موضع رعايتنا، فلا تخاف عليه ضيعة ولا خطر من

---

[1] ينظر: علي الصّابوني، **صفوة التفاسير**، مرجع سابق، ص:41/01.

[2] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:477.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج8، ص:479.

[4] نخبة من العلماء،**التفسير الميسّر**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، ط 2، 1430هـ/ 2009،ص:140.

عدم رضاعه، ولا تحزن من مفارقته إياها إنا سنرده إليها عن قرب ونجعله من المرسلين حينما يبلغ الرسالة».[1]

2. قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: 136].

المعنى: «أي جعل مشركو قريش لله مما خلق من الزرع والأنعام نصيبا ينفقونه على الفقراء ولشركائهم نصيبا يصرفونه إلى سدنتها، يقول ابن كثيرا: هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا وشركا وجعلوا لله شركاء وهو خالق كل شيء».[2]

مما سبق، وبالاعتماد على المفهومين: اللغوي والاصطلاحي نخلص إلى مجموعة من النّتائج هي:

– نجد أن المفهوم اللغوي يصب في المفهوم الاصطلاحي؛ إذ إن هناك تشابها وتقاربا بين لفظة "جعل"، وكثيرا من معانيها اللغوية تتكرر عند المفسرين وتحمل ذات المعنى.

– تعدّد و اختلاف المعاني لكلمة"جعل" تبعا لاختلاف السّياق الواردة فيه، حالها حال ألقى.

– في الآيات التي تحمل لفظة الجبال الرّواسي والتي عنيت ببيان وظيفة الجبال في الأرض، نجدها أيضا تدل وترتبط بكيفية تكوين هذه الأخيرة بفعلين هما: (جعل) و (ألقى) حيث تكرر الأول في خمس آيات، والثاني في أربع آيات أخرى كما هو موضح في الجدول التالي:

آيات جعل الجبال الرواسي	آيات إلقاء الجبال الرواسي
﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾

[1] لجنة من العلماء، **الوسيط** ، مرجع سابق، ص:1739.

[2] علي الصّابوني، **صفوة التفاسير**، مرجع سابق، ص:420/01.

رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾[الرعد:3].	[الحجر:19].
﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بهم﴾ [الأنبياء:31].	﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[النحل:15].
﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾[النمل:61].	﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾[لقمان:10].
﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾[فصلت:10].	﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[ق:7].
﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[المرسلات:27].	

بحسب الجدول نصل إلى:

01- الفعل "جعل" استخدم في خمس آيات.

02- الفعل "ألقى" استُعمل في أربع آيات؛ وذلك عند الحديث عن رواسي الأرض.

وبحسب ما جاء في الآيات أعلاه، فإن الفعل "جعل" قد استخدم في خمس آيات قرآنية، أما في الأربع آيات الأخرى فاستعمل الفعل " ألقى"، وذلك عند الحديث عن الرّواسي.

ومن هنا نخلص إلى أن الجعل ليس هو الإلقاء، بدءا باختلاف الجذر؛ فمادة (ج.ع.ل) تختلف جذرا عن مادة (ل.ق.ى).

وكذا الحال من حيث الاصطلاح؛ ف: "جعل" جمعت بين تنزيل القرآن، الطّرح والرّمي، الاستماع والإصغاء، التّبليغ، الفزع والخوف، الوضع بحسب السّياقات التي وردت فيها، أمّا

"ألقى"؛ فمن معانيها سمّى، أوجد، صيّر، اعتقد، حكم على الشّيء بحسب السياق القرآني الذي وردت فيه.

إلا أنّهما تلتقيان في زعمنا في معنى "وضع" ومعنى "أوجد"؛ ففي الآية:﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾[لقمان:10]، يمكن تفسيرا أن نقول: جعل في الأرض...، وفي أية:﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[المرسلات:27]، يمكن أن نقول تفسيرا: ألقى فيها، وهذا لا يتأتى مع كلّ الآيات، بل ولا يستقيم مع دقّة القرآن.

وقال فخر الدين الرّازي: في قوله تعالى:﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾[الحجر:19]: «والإلقاء معناه الجعل، ألا ترى أنه تعالى قال في آية أخرى: (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها)، والإلقاء يقارب الإنزال، لأن الإلقاء يدل على طرح الشّيء من الأعلى إلى الأسفل، إلا أن المراد من هذا الإلقاء الجعل والخلق»[1]، قال تعالى:﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ [طه:39].

ومن هنا يتبادر لنا السؤال الذي يطرح نفسه؛ لم عبّر الله تارة بـ: "جعل" وأخرى بـ: "ألقى"،يقول فاضل السّامرائي: « أقول والله أعلم أن الملاحظ أنه تعالى يقول أحياناً ألقينا وأحياناً يقول جعلنا في الكلام عن الجبال بمعنى أن التكوين ليس واحداً وقد درسنا أن بعض الجبال تُلقى إلقاء بالبراكين (جبال بركانية) والزلازل أو قد تأتي بها الأجرام المساوية على شكل كُتل. و هناك شكل آخر من التكوين كما قال تعالى في سورة النمل ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أإله مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء:61]... وهذا يدل والله أعلم على أن هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال.

وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض فالجبال ليست نوعاً واحداً ولا تتكون بطريقة واحدة هذا والله أعلم».[1]

[1] محمد الرازي فخر الدين، **تفسير الكبير و مفاتيح الغيب**،مرجع سابق، ج 20، ص:10 .

بالعودة إلى كتب النحو والتفاسير رأينا أن الدلالة الرئيسية للفعل (جعل) ضمن أفعال التصيير أي الأفعال التي تدل على التّحويل من حالة إلى حالة كما تطرّقنا إليها سابقا، مما يقودنا هذا إلى القول أن هذه الجبال كانت على حالٍ غير الحال التي هي عليها الآن بعد الجعل والتحويل.

أما الفعل (ألقى) فدلالته اللغوية نظرا لما تطرقنا إليه سابقا فهي تعني طرح الشيء وقذفه من علوه أو نحوه.

فبحسب الدلالة اللغوية لهذا الفعل يمكننا ترجيح هذا القول: « يعبر الفعل ألقى عن كيفية تكون الجبال على سطح الأرض، والتي تمت بعملية الإلقاء، وتم ذلك جيولوجيا عبر العصور المختلفة من أسفل إلى أعلى؛ حيث لفظت البحار والمحيطات ما بداخلها على مستوى القاع وذلك بفعل البراكين، أو من أعلى إلى أسفل بفعل مجاري الأنهار والترسبات الصخرية، وكذلك فان حركات طبقات الأرض الكائنة تحت قشرتها تسبب ضغطا هائلا من الأسفل إلى الأعلى، ونتيجة هذا الضغط تتكون الجبال».[2]

ومن هنا يمكننا القول: إن أصل تكوين الجبال في الأرض قد تم بطريقتين لا ثالث لهما، الأولى: التّحويل من حال السّطحية وعدم الجبلية إلى حال الجبال؛ وهذا ما يؤول إلى الجعل، والثانية: يكون الإلقاء من داخل الأرض إلى خارجها بفعل الزلازل والبراكين، وهذا ما يتناسب الإلقاء.

---

[1] لمسات بيانيّة، فاضل صالح السامرائي، 2022/05/22، الساعة: 21.37 http://albayanalqurany.com

[2] أحمد ماهر الصوفي، **الموسوعة الكونية الكبرى آيات الله في الجبال والصحاري والغابات**، مرجع سابق، ص: 70.

المبحث الثّالث: العلاقة بين الجبال الرّواسي وغيرها من المسمّيات.

الجبل عُبّر عنه في القرآن الكريم بمصطلحات عديدة، من ذلك: الرّواسي، الأعلام، الطّور، الجودي، الصّفا والمروة، عرفات، الأحقاف...)، فاختلاف ألفاظها وتعدد معانيها يدفعنا للبحث عن سبب هذا الاختلاف، وما علاقته بالمعنى العام لكل آية ورد فيها أحد هذه المصطلحات.

1. **الجبل**: توصف الجبال بأنها أشكال أرضية بارزة، تتسم بقممها العالية، وسفوحها المنحدرة، وبوجودها عادة في أحزمة على هيئة أطواف، أو سلاسل ومنظومات تكون متوازية أو قريبة من التوازي.[1]

يقول تعالى:﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:143].

2. **الرواسي**: صفة للجبال الثوابت الرّواسخ، وتسمى الرواسي لأنها رست في الأرض وثبتت، وأيضا كون الأرض بها قد رست وثبتت.[2]

يقول تعالى:﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[النحل:15].

3. **الطّور**: يقول تعالى:﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التّين:01]، جاء في التحرير والتّنوير، قول ابن عاشور:« "طُورِ سِينِينَ"؛ فهو الجبل المعروف بـ: طور سينا؛ والطور الجبل بلغة النبط وهم الكنعانيون، وعرف هذا الجبل بـ: "طُورِ سِينِينَ" لوقوعه في صحراء سنين...»[3] والطّور؛ اسم جبل مخصوص؛ وفيه أقوال: قيل إنّه اسم للجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليما، وأنزل فيه الثوراة، وقيل هو جبل بالشام، وقيل هو جبل محيط

[1] ينظر: أحمد ماهر الصوفي، **آيات الله في الجبال والصحاري والغابات**، المرجع نفسه، ص :97.

[2] ينظر: الماوردي، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ج5،ص: 170.

[3] ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، سابق، ص: 421/30.

بالأرض، وقيل أنه سمي بطور إسماعيل. والطور بالسريانية جبل في كلام العرب، وقيل لا يسمى الجبل طورا حتى يكون ذا شجر وثمر وإلا فهو جبل.

وطور سيناء: اسم موضع بالشام يتبع مصر فيه الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، ومعنى سيناء بالحبشة: حسن، وهو نفسه طور سنين.[1]

يقول تعالى:﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ [البقرة:63].

4. **الجودي:** هو اسم جبل ذكر في القرآن الكريم، يقال أنه مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، حيث هو الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح، وكان ذلك في يوم عاشوراء في المحرم، يوم نضب الماء.[2]

يقول تعالى:﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود:44].

تناول الماوردي في تفسيره النكت والعيون، ثلاثة أقاويل لجبل الجودي أولها قوله: أنه جبل بالموصل، ثانيها: أنه جبل بالجزيرة، وثالثهما: أن الجودي اسم لكل جبل.[3]

5. **الصفا والمروة:** علمان مخصوصان للجبلين, وهما معروفان لذلك، معهودان تجاه الكعبة, وهما من شعائر الحج؛ وسمي الصفا لأن سيدنا آدم وقف عليه ، كما وقفت حواء على المروة فسميت بها.[4]

يقول تعالى:﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 158].

---

[1] ينظر: خولة عبيد خلف الدليمي، **ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص:49.

[2] ينظر:جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **أسماء البقاع والجبال في القرآن الكريم**، تح/ محمد عبد الرحيم، دار الأنوار، 1996، ص:115.

[3] ينظر: الماوردي، **النكت والعيون، مرجع سابق**، ج2، ص: 474.

[4] ينظر: خولة عبيد خلف الدليمي، **ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص:48.

جاء في تفسير البيضاوي أن الصفا والمروة علما جبلين بمكة، إلا أنهما كانا من شعائر الجاهلية حيث كان في الصفا صنم يسمى أساف ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تحرج المسلمون بالطواف بينهما، فنزلت الآية لرفع الحرج عنهم.[1]

6. **عرفات:** علم على موقف الحاج في التاسع من ذي الحجة ببطن (نعمان)، إذ لا يتم الحج إلا بالوقوف عليه وهذا من علو الجبال عند الله عز وجل.

وعرفات اسم البقعة المخصوصة، اختلف في علة تسميتها بأقوال:

أولها: أنها سميت بعرفات؛ لوقوع المعرفة بين آدم وحواء بعد إنزالهما إلى الأرض فهو موضع لقائهما، جاء في تفسير البحر المحيط، قوله: في تفسيره لآيات الحج في سورة البقرة قال عن جبل "عرفات" وفى تعيين المعرفة أقاويل، فقيل لتعارف آدم وحواء بها؛ لأن هبوطه كان بوادي سرنديب، وهبوطها كان بجدة، وأمره الله ببناء الكعبة، فجاء ممتثلا، فتعارفا بهذه البقعة[2].

والثاني: لأن النّاس يتعارفون فيها لإكمال شعائر الحج.

ثالثا: هو اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع.[3]

يقول تعالى:﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:198].

جاء في تفسير معاني القرآن: «أنها سميت عرفات؛ لأن جبريل كان يقول لإبراهيم عليهما السلام، هدا موضع كذا، فيقول عرفت، وقد عرفت».[1]وتبقى الأقاويل كثيرة ومختلفة حول أصل تسمية هذا الجبل.

---

[1] ينظر:ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،تح/ محمد صبحي بن حسن حلاق، دار الرشيد بيروت،ج1، 1421هـ/ 2000م، ص: 152.

[2] ينظر: أبي حيّان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط** ، تح/ زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط1، ج2، 1413هـ/ 1993م، ص: 92.

[3] ينظر: خولة عبيد خلف الدليمي، **ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص: 51.

7. **الأحقاف:** جمع حقف من الرّمل، والعرب تسمي الرّمل المعوج حقافا و أحقافا، يقول ابن عباس: الأحقاف رمل فيما بين عمان وحضرموت، وقال الضّحاك: الأحقاف جبل بالشام، ويقال أنها رمال بأرض اليمن كانت عاد تنزلها.[2]

يقول تعالى:﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف:21].

يقول الصابوني عن الأحقاف أنها تلال عظيمة من الرمل في بلاد اليمن، كما قال ابن كثير الأحقاف جمع حقف وهو الجبل من الرمل.[3]

8. **الأعلام:** الأعلام من الجبال واحدها علم، والعلم أصلا يدل على أثر بالشيء يتميز به من غيره، والعلم الجبل، قال صاحب القاموس: العلم محركة: الجبل الطويل، وقد ذكر بهذا المعنى في موضعين من القرآن، قوله تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾[الشورى:32]، وقوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾. [الرحمن: 24].

« وهنا فيه تشبيه للسفن بالأعلام وهي الجبال، قال الفراء وقوله تعالى كالأعلام فيه شبّه السفينة بالجبل، وكل جبل إذا طال فهو علم. كما قال الزمخشري هو جمع علم وهو الجبل الطويل».[4]

يقول الطبري في تفسير الآية:« أن قوله تعالى كالأعلام يعني كالجبال و واحدها علم».[5]

---

[1] أبي الجعفر النحاس، **معاني القرآن**، تح/ محمح علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ، ج1، ص:137.

[2] ينظر: السيوطي، **أسماء البقاع والجبال في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص:71.

[3] ينظر، علي الصّابوني، **صفوة لتفاسير**، مرجع سابق، ج 3، ص:198.

[4] خولة عبيد خلف الدليمي، **ألفاظ الطبيعة في القرآن**، مرجع سابق، ص:57.

[5] الطبري، **جامع البيان في تفسير آي القرآن، مرجع سابق**، ج6، ص:497.

9. **الطود:** الطود في أصل اللغة هو الجبل العظيم ، يقول الزمخشري:" وهو الجبل العظيم المنطاد في السماء" الذاهب صعدا، وطوده الله تطويدا، طوله. وقيل هو عظيم الجبل المتطاول في السماء، وسمي به جبلان وهو علم جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء اليمن، وهو علم جبل بالصعيد الأعلى فوق خوص دون أصوان، فشبه الله سبحانه وتعالى تفرق البحر بان كل فرق أو فلق من البحر، كالجبل الشامخ ووصف بالعظيم مع أنه يعني الجبل العظيم ليدل على أنه عظيم بين الأطواد لا لكونه عظيما بين سائر الجبال العادية. [1]

يقول تعالى: ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[الشعراء:63].جاء في صفوة التفاسير:«أن الطود هو الجبل الشامخ الثابت».[2]

والحاصل أنّ العلاقة بين الجبال وهذه المسميات (المرادفات)، نقول: تعد الجبال مظهرا من مظاهر القوة والقدرة الإلهية، وآية من آيات النّعمة؛ فهي تسبّح بحمد الله، وتدلّ على حكمته وقدرته، كما أنها محصن من محاصن طهارة الأرواح، ودار للعبادة والصفاء فقد اتخذها الأنبياء للخلوة والتدبر فنجد أنّ لكلّ جبل حدث يتعلق بنبي في حقبة وزمن معين.

فقد هبط الوحي على سيّد الرّسل – محمّد صلى الله عليه وسلّم – في غار حراء بجبل مرتفع، وكذلك قصة سيّدنا موسى مع جبل الطّور، يقول تعالى:﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[مريم:52]، يقول ابن كثير:«أي الجبل "الأيمن "أي: من جانبه الأيمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة، رآها تلوح فقصدها»[3].

وسفينة نوح التي أرست على الجودي، يقول تعالى:﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ﴾[هود:44]، وهبوط سيدنا آدم على ربوة وتعارفه مع أمنا حواء بعد نزولهم من الجنة جاء في البحر المحيط، قوله:« ...ذكّر الصفا؛ لأن آدم وقف عليه، وأنثت المروة؛ لأن

[1] ينظر: خولة عبيد خلف الدليمي، **ألفاظ الطبيعة في القرآن**، مرجع سابق،ص:56.

[2] علي الصّابوني، **صفوة التفاسير**، مرجع سابق، ج2، ص:383.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ص: 1190.

حوّاء وقفت عليها»[1]،كما أنّها أُتّخذت بقاعا للعبادة، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلمَروَةَ مِن شَعَائِرِٱللَّهِ﴾[البقرة:58]، قال محمّد علي الصّابوني:« أي من أعلام دينه ومناسكه التي تعبّدنا الله بها»؛[2] فلحكمة إلهية أصبح نسك المسلمين في الحج حول الجبال، فهم يسعون بين الصفا والمروة, ويجتمعون في الوقوف على عرفات.

ونجد أن القرآن الكريم قد أطلق مسميات عديدة على لفظة واحدة ألا وهي الجبل، كون ذلك أن الجبال هي اللفظة الأمّ، أمّا باقي الألفاظ فهي صفات ومسميات لها فقط، إذ لكل جبل دور وحدث معين، وهذا بحسب السّياق الذي وردت فيه اللفظة؛ بحيث يمكن الاختلاف في تفاوت الارتفاع، أو من حيث الشكل، أو التكوين، فمثلا الطّور لا يسمى طورا إلا إذا كان ذا شجر وثمر، كما قد اقترن بعضها بالعبادات مثل الصّفا والمروة، وعرفات، أو أن هذه الأسماء مترادفة ومن كون المسمى بها واحدا، وهذا التّباين في المصطلحات ينم عن غناء بلاغي بياني فنّي، والذي سنقف على شيء منه في الفصل الآتي.

تطرّقنا في هذا الفصل إلى الجبال والرّواسي مفهوما وعلاقة، وإلى التعبير بـ: "ألقى" و"جعل"، وانتهينا إلى مسميات الجبل والعلاقة بينها، هذه المسمّيات تنوّعت، وأفضى هذا التّنوّع الوقوف على أهميّة الجبال في هذا الكون.

[1] أبي حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، مرجع سابق، ص:01/ 24.

[2] علي الصّابوني ،**صفوة التفاسير**، مرجع سابق، ج1، (ص ،ص:104،105).

الفصل الثاني:

الحقول الدّلالية لآيات الجبال الرّواسي والظواهر البلاغيّة بها

المبحث الأول: الحقول الدلالية للآيات

أولا: حقل الجبال والنّحل:

أوحى سبحانه في آياته للنحل أن يتخذ من الجبال بيوتا له، يأكل من ثمارها ويضع فيها العسل الذي هو شفاء للنّاس؛ باعتباره من المضادات الحيويّة الطبيعيّة، يقول تعالى:﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾[محمد: 15].

وفي اتخاذ النّحل الجبال مأوى ومسكن يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 68].

المعنى: «المراد بالوحي الإلهام و الهداية أي ألهمها مصالحها و أرشدها إلى بناء بيوتها المسدسة العجيبة تأوي إليها في ثلاثة أمكنة الجبال والشجر والأوكار التي يبنيها الناس، وكلي من كل الأزهار والثمار التي تشتهينها من الحلو والمر والحامض؛ فإن الله بقدرته يحليها إلى عسل، وادخلي الطرق في طلب المرعى حال كونها مسخرة لك لا تضلين الذهاب أو الإياب، وأنه يخرج من بطونها عسل متنوع منه أحمر وابيض و اصفر، فيه شفاء للناس من كثير من الأمراض».[1]

[1] علي الصّابوني ،**صفوة التفاسير**، مرجع سابق، ص:133/02.

ثانيا: حقل الجبال وسقوط المطر:

تشكل الجبال الشامخات عامل مهم في تشكل الغيوم وسقوط الأمطار، فنجده سبحانه دائما ما يقرن الجبال الرواسي بالأنهار كما نرى أن الأنهار والينابيع والبحار غالبا ما تكون بالقرب من الجبال لوجود علاقة وطيدة بينهما.

ويقول تعالى:﴿جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً﴾ [المرسلات: 27].

المعنى: «أي أوجدنا وخلقنا في الأرض جبالا ثوابت عاليات كي لا تميد الأرض ولا تضطرب بكم، وكما أن هذه الجبال تنزل الأمطار عليها وترتطم بها السحب الركامية ويحدث من ذلك السيول الجارفة التي تشق طريقها في الأرض وتتكون الأنهار العذبة فيسقي الله منها الإنسان والحيوان، وينبت الزرع ويدر الضرع، وتحيا الأرض بعد موتها، وذلك مما يدعوا إلى التبصر والاعتبار.

وكان المقصود بقوله:"وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً " ماءً عذبا سائغا شرابه وذلك من أجل التذكير بنعمة خلق الجبال وإيجادها».[1]

يقول تعالى:﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾[النمل:61].

المعنى:«أي أن الله بسط الأرض وسواها، ليتسنى للإنسان والحيوان الاستقرار عليها، وارتياد أماكنها، وجعل خلالها وفي أوساطها أنهارا جارية ينتفع بها كل قاطنيها، كما قد أقام عليها

جبالا ثوابت تمنعها من الاضطراب بقاطنيها، فيختل توازنها ويكون سببا في فناء من عليها»[2].

---

[1] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص: 1732.

[2] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:1700.

يقول تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ [النور:43].

المعنى:« أي أن الله يكوّن سحابا في الجو ويسوقه من جهات مختلفة، ثم يؤلف بين وحداته فيضم بعضها إلى بعض، ثم يجعله متراكما طبقة فوق أخرى، فترى المطر أو البرق يخرج من بين هذا السحاب المتآلف المتراكم، وينزل من السماء من سحابها المتراكم الشبيه بالجبال في عظمتها وارتفاعها حبا يشبه الثلج في برده ولونه، فيصيب به من يشاء من عباده ويصرفه عمن يشاء».[1]

ثالثا: حقل الجبال والسّكن والأمن:

من منافع الجبال للإنسان أنّها تقيه من حرارة الشّمس المحرقة ومن البرد القارس؛ فتكون باردة في الصيف ودافئة في الشتاء؛ فلذا راح يبني فيها بيوتا ويحفر منها كهوفا ومغارات يتخذها ملجأ له من المخاطر والحوادث الطّبيعية.

يقول تعالى:﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾ [النحل:81].

المعنى:«أي وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها كالكهوف والحصون تقيكم حر الشمس، قال الرازي: لما كانت بلاد العرب شديدة الحر، وحاجتهم إلى الظل ودفع الحر، فلهذا ذكر الله هذه المعاني في معرض النعمة العظيمة».[2]

يقول تعالى:﴿ وَتَنْحتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾ [الشعراء :149]

المعنى:«أي بلغت بكم الفراهة والحذق إلى أن اتخذتم بيوتا من الجبال الصم الصلاب».[1]

---

[1] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص: 1444.

[2] علي الصّابوني ،**صفوة التفاسير**،مرجع سابق، ص: 138/02.

يقول تعالى:﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر: 82].

المعنى:«أي مكناهم في الأرض وجعلناهم أولى قوة وصنعة، وحضارة ومهارة، وحذق بفنون البناء والعمارة، حتى كانوا يتخذون من جبالها بيوتا حصينة؛ حيث كانوا يقطعون حجارتها وينحتونها تسوية لها، ثم يبنونها قصورهم ليعيشوا فيها آمنين عليها من الهدم، وعلى أنفسهم من العدوان والسوء، لقوة بنائها وبديع إحكامها، أو آمنين من العذاب لحسبانهم أن الحصون التي بنوها تحميهم منه».[2]

رابعا: حقل الجبال والإنسان: لغة مشتركة مع الإنسان؛ السجود، التّصدع، الخوف، تحمّل الأمانة:

تشارك الجبال الإنسان وكافة مخلوقات الله في عبوديته، كما دلّت الآيات الآتية على أنّ الجبال تسجد وتخشع وتسبّح لله تعالى، فقد شاركت سيدنا داوود في تسبيحه وذكره لله ، حيث سخّرها الله له فكانت بمثابة المعجزة لهذا النّبي، كما أنّها ثالث المخلوقات التي عرض الله عليها الأمانة فأشفقت حملها وأعرضت عنها؛ وهذا يدل على إدراكها وخضوعها للخالق الواحد.

يقول تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:18].

المعنى:«أي أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، و أنه يسجد لعظمته كلّ شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به».[3]

---

[1]عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**،تح/ محمد الصالح العثمين، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان،ط1423،1هـ/2002م، ص:596.

[2]لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:572.

[3]ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**،مرجع سابق، ص: 1265.

بيان لعظمته تعالى وانفراده بإلوهيته وربوبيته، بانقياد هذه العوالم العظمى له، وجريها وفق أمره وتدبيره.[1]

يقول تعالى:﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:72].

المعنى: وهو يريد بالأمانة الطاعة، والفرائض التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك، وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم، فقبلها بما فيها.[2]

يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 79].

المعنى:«أي جعلنا الجبال والطير تسبح مع داوود إذا سبح، قال ابن كثير: وذلك لطيب صوته بتلاوة الزبور»؛[3] فكان إذا ترنم بها تقف الطير في الهواء فتجاوبه وترد عليه الجبال تأويبا.

يقول تعالى:﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر:21].

المعنى:«فيه موعظة للإنسان، وذم لأخلاقه في غفلته وإعراضه عن داعية الله تعالى، وذلك أن القرآن أنزل عليهم وفهموه وأعرضوا عنه، وهو لو نزل على جبل وفهم الجبل منه ما فهم الإنسان لخشع واستكان وتصدع من خشيته تعالى.

---

[1] محمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل** ،تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، (د.د)، 1376هـ/ 1957م، ص:4331.

[2] ينظر: الشوكاني، **فتح القدير** ، مرجع سابق، ص: 1187.

[3] علي الصّابوني، **صفوة التفاسير**،مرجع سابق، ص:270/02.

وإذا كان الجبل على عظمته وقوته يفعل هذا فما عسى أن يحتاج ابن آدم ليفعل، لكنه يعرض ويصد على حقارته وضعفه، وضرب الله لنا هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه».[1]

يقول تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ [سبأ: 10].

المعنى: جاءت الآية للإشارة لإنكار المشركين أمر البعث، واستبعاد حصوله، وتكذيبهم للنبي محمد ورسالته، فذكر الله نعمته على داوود وسليمان احتجاجا على ما منح محمدا، فقال: لقد آتينا وأعطينا داوود ن عندنا نعمة وإحسانا، لحسن إنباته ولصدق توبته بما منحناه من الملك، وفصل الخطاب، وقوله تعالى يا جبال أوبي معه وذلك تفصيل لبعض الفضل الذي منحه إياه، ومعناه يا جبال ارجعي معه التسبيح كلما سبح، وسخر له الطير لأن إيتاءها إياه هو تسخيرها له، وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لأمره المذعنين لحكمه، ما يشعر بأنه ما من حيوان ولا جماد، ولا صامت ولا ناطق، لا وهو منقاد إلى مشيئة الله تعالى غير ممتنع على إرادته، ألنا له الحديد بمعنى طوعناه وجعلناه في يده لينا يصنعه كيف شاء ويتصرف فيه بما يشاء.[2]

خامسا : حقل الجبال والألوان:

إن اختلاف ألوان الجبال يدل على إبداع الخالق تعالى تفانيه في خلقه، كما يدل كذلك على اختلاف تكوين هذه الأخيرة، فلألوانها تأثير إيجابي على الإنسان؛ فهي تساعده على العثور على مقاصده وتجنّبه التّيه، إضافة على منحه الرّاحة النّفسية.

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: الآية 27].

[1] ابن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز**، ص:1845.

[2] ينظر:لجنة من العلماء،**الوسيط**، مرجع سابق، ص: 249.

المعنى:«يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها ومادتها واحدة، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، ليدل العباد على كمال قدرته وبديع خلقه.

فمن ذلك: أن الله أنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات المختلفات والنباتات المتنوعات، ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد والأرض واحدة.

وممن ذلك: الجبال التي جعلها الله أوتادا للأرض، تجدها جبالا مشتبكة، بل جبلا واحدا، وفيها ألوان متعددة، فيها جدد بيض أي طرائق بيض، وفيها طرائق صفر وحمر، وفيها غرابيب سود أي شديدة السواد جدا».[1]

سادسا: حقل الجبال والأرض:

خلق الله الأرض وأحسن خلقها، فجعل بها جبالا رواسي وجعل هذه الجبال أوتادا لها تحفظ توازنها و تثبّتها وتمنعها من الميَدان والاضطراب، كما جعلها مصدات تصد الرّياح وترسلها إلى طبقات الجو العليا؛ إضافة إلى ذلك أن لها تأثيرا بالغا في نزول الثّلج وسقوط المطر، فقد ذكر الله في آياته الكريمات الجبال الرّواسي وصفها شكلا ووظيفة.

يقول تعالى:﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات:27].

المعنى:« أي جعلنا فيها جبالا طوالا، والرواسي الثوابت، والشامخات الطوال، وكل عال فهو شامخ، و أسقيناكم ماء عذبا يشرب منه ويسقى به».[2]

يقول تعالى:﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل:61].

[1] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، ص:1232.

[2] الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ص:1571.

المعنى:«انتقال من تبكيت المشركين بآية من آيات قدرته إلى تبكيتهم بآية أخرى من آياتها العظيمة حيث بسط الأرض وسواها، ليتسنى للإنسان والحيوان الاستقرار عليها، وارتياد أماكنها، وجعل خلالها وفي أوساطها أنهارا جارية ينتفع بها كل قاطنيها، كما قد أقام عليها جبالا ثوابت تمنعها من الاضطراب بقاطنيها، فيختل توازنها ويكون سببا في فناء من عليها».[1]

يقول تعالى:﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق:7].

المعنى: أي أن الأرض وسعناها وفرشناها وألقينا فيها الجبال الثوابت لئلا تميد بأهلها وتضطرب، فإنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها، وانبتنا فيها من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع .[2]

يقول تعالى:﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [لقمان:10].

يقول تعالى:﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: 32].

المعنى: «أي أثبت الله الجبال في مكانها، وجعلها وقاية للأرض أن تميد بأهلها».[3]

يقول تعالى:﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾[فصلت:10].

المعنى: «أي جعل في الأرض التي خلق في يومين جبالا رواسي، وهي الثوابت في الأرض من فوقها، يعني من فوق الأرض على ظهرها».[4]

يقول تعالى:﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: 31].

---

[1] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص: 1700.

[2] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، مرجع سابق، ص:1755.

[3] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:1774.

[4] الطبري، **تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج6، ص: 454.

المعنى:«هذا من آثار فتق الأرض في حد ذاتها إذ أخرج الله منها الجبال الرواسي لأنها رست في الأرض ورسخت فيها لكي لا تضطرب بمن عليها».[1]

يقول تعالى:﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر: 19].

المعنى:«أي والأرض دحوناها فبسطناها وألقينا في ظهورها رواسي أي جبالا ثابتة».[2]

يقول تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: 15].

المعنى:«ومن نعمته عليكم أيها الناس أن ألقى في الأرض رواسي، وهي الثوابت في الأرض من الجبال».[3]

يقول تعالى: ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ: 7].

المعنى: أي أن الجبال كالأوتاد والمراد به أرسينا الأرض بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد.[4]

سابعا : حقل الجبال وأهوال القيامة:

لم تستثنِ الله الجبال من أحداث يوم القيامة فقد كان لها موعدا ويوما تُنسف فيه نسفا، فرغم قوة وصلابة هذه الأخيرة وضخامتها إلا أنها تصير كالعهن المنفوش وتتساوى بالأرض بعدما كانت تتطاول في السماء فتصير سرابا كأنها لم تكن بالأمس.

---

[1] الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**،مرجع سابق، ص: 57/17.

[2] الطبري، **تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج4، ص:472.

[3] الطبري، **تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن**،، مرجع سابق، ج4، ص:507.

[4] ينظر: شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط1، ج15، 1495هـ/ 1994م، ص: 205.

يقول تعالى:﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

المعنى:« لم ذكر الله الدنيا ومالها ذكر القيامة و أهوالها أي واذكر يوم نزيل الجبال من أماكنها ونسيره كما نسير السحاب فنجعلها هباء منبثا، وترى الأرض ظاهرة للعيان ليس عليها ما يسترها من جبل أو شجر ولا بنيان، قد قلعت جبالها وهدم بنيانها فهي بارزة ظاهرة، وجمعنا الأولين والآخرين لموقف الحساب فلم نترك أحدا منهم».[1]

يقول تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: 105].

المعنى:«أي يسألونك عن حال الجبال يوم القيامة فقل لهم إن ربي يفتك بها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيطيرها " فيذرها قاعا صفصفا" أي يتركها أرضا ملساء مستوية لا نبات فيها ولا بناء ولا ترى فيها انخفاضا ولا ارتفاع».[2]

يقول تعالى:﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: 10].

المعنى:«أقسم الله على أن أمر القيامة حق لا شك فيه، وأن ما وعد به المكذبين من مجيء الساعة كائن لا محالة، وبين تعالى وفصل وقت وقوع ذلك فقال إذا تطايرت الجبال وتناثرت حتى أصبحت هباء تذروه الرياح».[3]

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: 3].

المعنى:«هذه الآية تبين أهوال يوم القيامة وما يكون من الشدائد والكوارث، وما يعتري الكون والوجود من مظاهر التغيير والتخريب، وقد سبّق الله مجموعة من الأحداث من بينها تسيير

[1]علي الصّابوني ،**صفوة التفاسير**،مرجع سابق، ص:194/01.

[2] علي الصّابوني ،**صفوة التفاسير**،مرجع سابق، ص:248/02.

[3]علي الصّابوني ،**صفوة التفاسير**، مرجع سابق، ص: 500/03.

الجبال أي اقتلعت وأبعدت من أماكنها بالرجفة الأولى التي تنشق لها الأرض، وتضمحل وتتزلزل

زلزالا شديدا، فتتقطع أوصالها، وتفصل منها جبالها، وقيل تسير مقذوفة في الفضاء، وقد تمر على الرؤوس مع السحاب»[1].

يقول تعالى:﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج:9].

المعنى:«أي كالصوف المصبوغ ألوانا، لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح».[2]

يقول تعالى:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: 14].

المعنى:«أي يوم تزلزل الأرض والجبال فتصير الجبال ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء، ثم أنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب ، حتى تصير الأرض قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا، أي واديا ولا أمتا ولا رابية بمعنى لا شيء ينحف ضاو يرتفع».[3]

يقول تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: 20].

المعنى: أي ذُهب بها عن أماكنها فصارت بعد تسييرها مثل السراب، وكالهباء، أي مثله في خفة سيرها.[4]

يقول تعالى:﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة:14].

---

[1] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص: 1800.

[2] أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، **تفسير الكشاف**، تح/ خليل مأمون، دار المعرفة بيروت_ لبنان، ط3، 1430هـ/ 2009م، ص: 1139.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ص:1932.

[4] ينظر: جلال الدين السوطي، **تفسير الجلالين الميسر**، ط1، (د.د)، 2003م، ص: 582.

المعنى:«أي رفعت الجبال من أماكنها إما بالزلزلة، أو بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال، أو بملك من الملائكة، أو بقدرة الله من غير سبب، فضربت الأرض والجبال بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وتتفتت وتصير كتيبا مهيلا أي رملا رخوا لينا بعد أن كانت قوية وصلبة متماسكة».[1]

يقول تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: 5].

المعنى:« أي أن الجبال وهي الثقيلة وقوية التماسك، تصير في ذلك خفيفة هشة كالصوف الذي نفش ففرقت شعراته بعضها عن بعض حتى صار على حال يطير مع أضعف ريح».[2]

يقول تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة:5].

المعنى:«أي فتت حتى صارت كالسّويق المتلوت من بسَّ السويقا إذا لتَّه، أو سيقت وسيرت من بسَّ الغنم إذا ساقها فكانت غبارا منتشرا».[3]

يقول تعالى:﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور:10].

المعنى:«يحكي القرآن بعض التغييرات الكونية والآيات الإلهية التي تحدث في يوم القيامة ويذكر ما يحدث للأرض فيقول تنتقل الجبال من مقارّها وتتحرك تحركا ظاهرا، فتذهب وتصير هباءً منبثا وتنسف نسفا».[4]

ثامنا: حقل الجبال والقوة والصّلابة:

خلق الله الجبال وميزها بالقوة والصلابة، وبجمال وروعة في المنظر، فكلّما نظرت لها علمت مدى ثباتها وشموخها رغم ما يعتريها من ظواهر طبيعيّة وأحداث يوميّة.

---

[1] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص: 1556.

[2] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص:2001.

[3] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ص: 1550.

[4] لجنة من العلماء، **الوسيط**، مرجع سابق، ص: 1118.

يقول تعالى:﴿ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: 37].

المعنى:«المراد من الآية النهي عن أن يمشي الإنسان مشيا يدل على الكبرياء والعظمة لما فيهما من التكبر والخيلاء، لأنه بذلك لن ي نقب الأرض ولن يصل إلى رؤوس الجبال، فتواضع كونك ضعيف عاجز لا يليق بك التكبر».[1]

يقول تعالى:﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[إبراهيم :46].

المعنى:«وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم، وافتروا عليه فريتهم عليه، وعند الله علم شركهم به وافترائهم عليه، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلها، وما كان شركهم وفريتهم على الله، لتزول من الجبال، بل ما ضروا بذلك إلا أنفسهم، ولا عادت بغية مكروهه إلا عليهم».[2]

يقول تعالى:﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم :90]

المعنى: أي أن الجبال تكسر من هول ما تفترون على الله من كلام،و إن من هول هذه الكلمة وعظمتها " قالوا اتخذ الرحمن ولدا " بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الأجرام العظام وتتفتت من شدتها، أو لأن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها.[3]

تاسعا: حقل التّدبر:

إن للتأمل في خلق الله عزّ وجلّ ثمرات عظيمة تعود على الإنسان بالفائدة والنفع.

---

[1]الفخر الرازي،**تفسير مفاتيح الغيب**، ص:213.

[2]الطبري، **تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق،ج4، ص:463.

[3]ينظر: محمد مصليح الدين مصطفى القوجي الحنفي، **حاشية محيي الدين شيخ زاده**، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ج5، ط1، 1419هـ/199م، ص: 590.

يقول تعالى: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: 19].

المعنى:أي ألا يتدبرون في خلق الله وينظرون إلى الجبال التي ينزلون في أقطارها وينتفعون بمائها وأشجارها كيف وضعت وضعا ثابتا يتأتى معه ارتقاؤها فلا تميل ولا تميد.[1]

[1] ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن**، مرجع سابق، ص: 329.

المبحث الثّاني الظّواهر البلاغية في الآيات:

نعتمد في هذا المبحث على الآيات التي أوردناها في الحقول الدّلالية؛ بحيث وجدنا أنّ القرآن الكريم يزخر بظّواهر بلاغية عديدة من حيث: المعاني والبيان والبديع، سنتخيّر من كلّ حقل دلالي بعض الآيات لندرسها فنيا من حيث ظواهرها البلاغيّة.

- **يقول تعالى:**﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 68].

الآيات وردت في سياق الحديث عن الجبال وكيف يتّخذ منها النّحل مأوى؛ بحيث يمكننا تقسيم الآية- تسهيلا للدّراسة – إلى مقاطع كالآتي:

- ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، هذا المقطع من الآية جاء بأسلوب خبري ابتدائي؛ لخلوّه من المؤكّدات، غرضه الإلهام و الهداية، والواو للوصل؛ إذ الآية معطوفة على ما قبلها في إطار نعم الله على خلقه، وتذكيرهم بها.

- ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾ والمقطع الثّاني جاء بأسلوب إنشائي، بصيغة فعل الأمر"اتخذي"، ولكنّه خرج عن غرضه الحقيقي (مجرّد الطّلب) إلى غرض بلاغي يُفهم من سياق الآية؛ أي الإلهام و الهداية والتوجيه.

يقول الطّاهر بن عاشور: «ومن الدّاخلة على "الجبال" وما عطف عليها بمعنى "في"، وأصلها من الابتدائيّة، فالتعبير بها دون "في" الظّرفيّة؛ النّحل تبني لنفسها بيوتا ولا تجعل بيوتها جحور الجبال ولا أغصان الشّجر ولا أعواد العريش...»[1]وما يكمن الإشارة إليه في هذا الصّدد أنّ الله يخاطب مخلوقاته باللغة التي يفهمونها، والتي أودعها فيهم؛ فهو هنا

[1]الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتّنوير**، مرجع سابق، ص: 206/14.

يخاطب النّحل كما يخاطب الإنسان بتوجيهه إيّاه إلى المأوى المناسب، وهو أيضا يوحي اتخاذ العبرة من هذه المخلوقات الصغيرة.

- **يقول تعالى:** ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:18].

وردت هذه الآيات في سياق خضوع جميع المخلوقات لله تعالى وعبادتها إياه وسجودها وتسبيحها له بما فيها الجبال؛ سنقسم الآية إلى ثلاثة مقاطع كالآتي:

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ جاء هذا المقطع من الآية بأسلوب إنشائي طلبي، بصيغة الاستفهام " ألم ترى" غرضه التقرير، والواو للوصل؛ إذ الآية معطوفة على ما قبلها.

- ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ جاء في المقطع الثّاني من الآية أسلوب إنشائي غير طلبي بأسلوب الشّرط؛ فكان الجزء الأوّل –مَن يُهِنِ اللَّهُ– جملة الشّرط، والجزء الثّاني – فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ – جملة جواب الشّرط، والغرض من الشّرط وجوابه التّحذير من الكفر بنعم الله، والتّنبيه إلى ضرورة شكرها.

- المقطع الثّالث: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾، جاء هذا المقطع في أسلوب خبري ابتدائي؛ لوجود مؤكّد واحد "إنّ"، والغرض من هذا الأسلوب التّقرير الذي يشير إلى قدرة الله تعالى المطلقة في تصرّفه في الكون.

- أمّا من جانب البديع فنجد طباق الإيجاب؛ وذلك بين " السّموات والأرض" ، وكذا بين " يهن ومكرم"، هذا الذي أفضى على التّعبير الشّريف رونقا وجمالا.

- كما نقف في الآيات على التّخصيص بعد التّعميم؛ بحيث ذكر الله المخلوقات التي تسجد لله، والتي أجملها في السّموات والأرض؛ وهذا للفت الانتباه إلى دور هذه المخلوقات في الكون، وقد أفضى هذا التخصيص بعد التّعميم إلى شدّ القارئ وضرورة تدبّره في وظيفة هذه المخلوقات.

- **يقول تعالى:**﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:72].

وردت الآية في نفس سياق التي قبلها وهو خضوع جميع المخلوقات وانقيادها لله تعالى. ومن أجل تسهيل الدراسة سنقسم الآية إلى مقاطع كالآتي:

- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ جاء المقطع الأول بأسلوب خبري طلبي لوجود مؤكد فيه " إنا " غرضه التقرير والتعظيم.
- أمّا المقطع الثّاني ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، أسلوب خبري يمثّل نتيجة تعكس علم الله بالإنسان وتصرفاته؛ ومنه عبّر الله عن هذا بصيغة المبالغة باعتبارها تدلّ على حقيقة الإنسان.
- ومن حيث البيان ألفينا في الآية استعارة تمثيلية حيث شبّه الله تعالى تحميل الأمانة على السّموات والأرض والجبال ووضعها في الإنسان بحالة من يعرض شيئا على النّاس فيرفضه بعضهم ويقبله بعضهم.
- ومن وجوه البديع في الآيات وجود طباق الإيجاب في المقطع الأوّل بين" السّماوات والأرض".

- **يقول تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: 10].

- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا﴾ جاء المقطع الأول من الآية بأسلوب خبري إنكاري، لوجود أكثر من مؤكّدين "اللام"، "قد"، "منّا" التي فصلت بين المفعولين، فكان عندنا تقديم، غرضه الحصر، من مميّزات أسلوب القصر نفي الاحتمالات؛ فالفضل من الله وحده دون غيره، وغرض الخبر هنا التّقرير.
- ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ جاء المقطع الثاني بأسلوب إنشائي بصيغة النداء مرة في قوله "يا جبال" وبصيغة الأمر في قوله:" أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ " غرضه التكوين والتسخير، بالإضافة إلى وجود الاستعارة المكنية في هذا المقطع

- **يقول تعالى:** ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 79].

الآية في سياق الآيات السّابقة، يقول محمّد علي الصّابوني:« أيجعلنا الجبال والطّير تسبّح مع داود إذا سبّح، قال ابن كثير؛ وذلك لطيب صوته بتلاوة الزّبور فكان إذا ترنّم تقف الطّير في الهواء فتجاوبه وتردّ عليه الجبال تأويبا »[1]

- المقطع الذي يهمّنا هنا:﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ ﴾، أسلوب خبري طلبي، غرضه التّقرير والتّعظيم، تقريرا بعظمة الله وعجيب قدرته.

ومن تمثيل الجبال بالإنسان في قدرتها على التّسبيح نقف على استعارة، جاء في صفوة التّفاسير قوله: «وإنّما قدّم ذكر الجبال على الطّير؛ لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأغرب وأدخل في الإعجاز؛ لأنّها جماد »[2]؛ بحيث شبّه الجبال بالإنسان وحذف المشبّه به على سبيل الاستعارة المكنيّة، وكان أثرها واضحا في إظهار عظمة قدرة الله.

[1] علي الصّابوني،**صفوة التّفاسير**، مرجع سابق، ص: 02/ 257.

[2] علي الصّابوني ، **صفوة التّفاسير**، مرجع سابق، ص: 02/ 257.

- **يقول تعالى:** ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ [النور:43].

وردت الآيات في سياق الحديث عندور الجبال في عملية تكوين الغيوم و سقوط الأمطار، قال ابن كثير:ومعناه: أنّ في السّماء جبال برد ينزل الله منها البرد تقسيم الآية إلى مقاطع كالآتي:

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ جاء المقطع الأول بأسلوب إنشائي طلبي، بصيغة الاستفهام التقريري غرضه التعجب. بالإضافة إلى تنكير سحابا لإفادة الكثرة والتعظيم.
- ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء﴾ جاء في المقطع الثّاني وجود طباق الإيجاب بين "يُصِيبُ" الدّال على العذاب، و"يَصْرِفُ" الدّال على الرّحمة بالإضافة إلى وجود الإطناب فقد أسهب سبحانه وتعالى في وصفه لعملية إنزال المطر باستعمال التّراخي"ثمّ"، ومطلق الجمع في "الواو" الواصلة، وذلك في قوله "وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ".

وانظر كيف تنوّعت وظيفة "من"؛ فمن الأولى: لابتداء الغاية، ومن الثّانية: للتّبعيض، ومن الثّالثة: لبيان الجنس

يقول الزمخشري:"فإن قلت: ما معنى من جبال فيها من برد قلت: فيها معنيان: أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر، والثاني أن يريد الكثرة بذكر الجبال، كما يقال: فلان يملك جبالا من ذهب.[1]؛ أي أن الجبال كناية عن كثرة السّحب.

[1] نفسه، 257/02.

- **يقول تعالى:** ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات:27].

وردت الآيات في سياق الحديث عن وظائف الجبال الرواسي في تثبيت الأرض وضمان استقرارها وحفظ توازنها.

- الآية في مقطع واحد باعتبار الوصل عطفا بالواو﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ نكّرت على لفظة"رواس" و"شامخات" و"ماء"، يقول الزمخشري:"فان قلت: فالتّنكير في رواسي شامخات، وماءا فراتا؟ قلت: يحتمل إفادة التبعيض، لأن في السماء جبالا"[1].

أما في جانب البديع فنجد توافق الفواصل في قوله وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا.

- **يقول تعالى:**﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:61].

- ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ﴾ جاء المقطع الأول بأسلوب إنشائي، بصيغة الاستفهام غرضه التّقرير، يقول محمّد الطّاهر بن عاشور:«أم منقطعة بمعنى بل للإضراب الانتقالي؛ بحيث انتقل بهذا الإضراب من الاستفهام الحقيقي التّهكّمي إلى الاستفهام التّقريري»[2].

واللام في "لها" للتّعليل؛ أي أنّها لفائدة الأرض بحيث تحميها من الميلان والاضطراب، وهذا كلّه من كمال قدرة الله.

- ﴿ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جاء المقطع الثاني بأسلوب إنشائي، بصيغة الاستفهام غرضه الإنكار والتوبيخ والتقريع، جاء في التّحرير والتّنوير، قوله:« ...ثمّ ذيّل

[1] الزمخشري، **الكشاف**،ج6، مرجع سابق، ص:289.

[2] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتّنوير، مرجع سابق، ص: 10/20.

بالاستفهام الإنكاري، وبالاستدلال بجملة مماثلة لما ذيّل به الاستدلال الذي قبلها على طريقة التّكرير تعديدا للإنكار وتمهيدا للتّوبيخ بقوله: بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾»[1].

كما وجدنا مراعاة الفواصل في قوله تعالى:﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾، وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾، ممّا يزيد في شدّ القارئ.

- **يقول تعالى**: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [الحجر: 19].

- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أسلوب خبري ابتدائي، غرضه التّقرير، يدل على مظاهر العظمة في "مَدَدْنَاه" و"أَلْقَيْنَا" المذيّلتين بنون الجماعة.
- وفي المقطع حذف الموصوف في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾؛ أي جبالا روسي
- وفي المقطع كناية على الانبساط والوسع في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾، ورد في تفسير صفوة التّفاسير: « أي بسطناها و وسّعناها وجعلنا فيها جبالا ثوابت »[2].

- **يقول تعالى**:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: 7].

- جاءت الآية:﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ضمن سلسلة من الآيات وهي معطوفة، كما عطفت عليها آيات بعدها.

صدّرت الآيات باستفهام تقريري، وما نقف فيها عليه من المظاهر البلاغية: التشبيه البليغ، والذي حذف منه:الأداة ووجه الشّبه، يقول محمّد الطّاهر بن عاشور:« والإخبار عن الجبال بأنّها أوتاد على طريقة التّشبيه البليغ؛ أي كالأوتاد »[3]، وفي صفوة التّفاسير، يقول:التّشبيه

[1] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتّنوير، مرجع سابق، ص: 14/20.

[2] علي الصّابوني ،**صفوة التّفاسير**، مرجع سابق، ص: 2/ 105.

[3] الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتّنوير** ، مرجع سابق، ص: 30/ 14.

البليغ...أصل الكلام... والجبال كالأوتاد التي تثبت الدّعائم، فحذف أداة التّشبيه ووجه الشّبه فأصبح بليغا »[1].

ونحصل في التّركيب العام على مقابلة بين ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ و﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾، قابل الله تعالى بين الليل والنّهار، والرّاحة والعمل[2]

ولا ينبغي أن ننسى مراعاة الفواصل الذي يسهم في الإيقاع الذي يشدّ القارئ إليه.

- **يقول تعالى:**﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ [النحل:81].

جاءت الآيات في سياق الحديث عن الجبال وكيف كان الإنسان يتخذها مأوى يقيه من البّرد والحر.

- نأخذ الآية في مقطع واحد:﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾.

- الآية وردت في أسلوب خبري، غرضه التّقرير، غلى سبيل التّذكير بنعم الله، جملة اسميّة مركّبة من جملتين فعلتين، "جعل" مكرّر، ففيها جانب الثبات والحركة معا، والله سبحانه ذكر الجبل مرّتين، ضمنيا في قوله:﴿ وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً﴾، فالجبل من جملة ما خلق الله، يقول محمّد علي الصّابوني في هذه الآية:« أي جعل لكم من الشّجر والجبل والأبنيّة وغيرها ظلالا تتّقون بها حرّ الشّمس »[3].كما ذكر الجبل تصريحا في الآية المواليّة: وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ﴾، بحسب وظائفه؛ إذ يُتّخذ ظلا و مأوى، جاء في تفسير

[1]علي الصّابوني ،**صفوة التّفاسير** ، مرجع سابق، ص: 3/ 498.

[2] ينظر:علي الصّابوني ،**صفوة التّفاسير** ، مرجع سابق، ص: 3/ 498.

[3]علي الصّابوني ،**صفوة التّفاسير** ، مرجع سابق، ص: 2/ 122.

الرّازي: «لما كانت بلاد العرب شديدة الحرّ، وحاجتهم إلى الظّل ودفع شديدة؛ فلهذا ذكر تعالى هذه المعاني في معرض النّعمة العظيمة »[1].

ومن في الآية تدلّ على التّبعيض؛ أي من بعض الجبال، قال محمّد الطّاهر بن عاشور« كانوا يأوون إلى الكهوف في شدّة حرّ الهجير أو عند اشتداد المطر »[2].

مما ورد في الآية من الظواهر البلاغية من جانب البديع مراعاة الفواصل في "ظِلاَلاً" و"أَكْنَانًا"، ولا يخفى ما في هذا من إيقاع جمالي.

- **يقول تعالى:** ﴿ وَتَنْحتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾ [الشعراء :149].

- جاءت الآية في أسلوب خبري تقريري، بجملة فعلية مضارعة، المضارع الذي يدلّ في الغالب على الحال أو الاستقبال، عبّر الله بصيغة المضارع لاستحضار الحالة في نحتهم بيوتا من الجبال[3].

- **يقول تعالى:** ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: الآية 27].

جاءت الآية الكريمة في سياق ألوان الجبال وما لها من تأثير على صحة الإنسان فهي تلعب دورا بالغا في تحسين المزاج وتغذية الرّوح، وتسهم في منحه الشّعور بالراحة والهدوء والطمأنينة، سنقسم الآية إلى مقاطع كالآتي:

- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا﴾ جاء المقطع الأول من الآية بأسلوب إنشائي على صيغة الاستفهام الإنكاري غرضه التّعجب.

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، مرجع سابق، ص: 20/ 93.

[2] الطاهر بن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير** ، مرجع سابق، ص: 14/ 240.

[3] نفسه ، مرجع سابق، ص: 176/19.

- المقطع الثّاني قوله تعالى: وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

يقول سيّد قطب في الظّلال: « هذه لفتة كونيّة عجيبة من اللفتات الدّالة على مصدر هذا الكتاب – القرآن الكريم – تبدأ بإنزال الماء من السّماء، وإخراج الثمرات المختلفات الألوان، ثمّ تنتقل إلى ألوان الجبال؛ ففي ألوان الصّخور شبه عجيب بألوان الثّمار، وتنوّعها وتعدّدها، واللفتة إلى ألوان الصّخور وتنوّعها داخل اللون الواحد، تهزّ القلب هزّا، وتوقظ فيه حاسّة الذّوق الجمالي العالي بما يستحقّ النّظر الالتفات...»[1].

- **يقول تعالى:** ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: 105].

جاءت الآيات في سياق وصف أحداث يوم القيامة وأهوالها، فالجبال بالرغم من قوتها وصلابتها في الدّنيا، إلا أنّها تخرّ وتنهد وتتطاير حبات رمالها كتطاير الصّوف.

- و الآية في أسلوب حواري، "يسألونك" "فقل"

- توفرت الآية على التأكيد بالمفعول المطلق في قوله" يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا".

وفي نفس القول نجد جناس الاشتقاق؛ "ينسفها" و "نسفا".

- **يقول تعالى:** ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة:5].

- توفرت الآية على التأكيد بالمفعول المطلق في قوله وبست بسّاً.

- وفي الوقت نفسه نجد جناس الاشتقاق؛ "بسّت" و"بسّاً.

- **يقول تعالى:** ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: 5].

[1] في ظلال القرآن نقلا عن علي الصّابوني، مرجع سابق، ص: 02 / 552.

- وجود التشبيه المرسل المجمل، وذلك في تشبيه الجبال بالصوف. يقول الزمخشري:" كالعهن، أي كالصوف المصبوغ ألوانا، لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإن بُست وطُيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته السماء.[1]

- **يقول تعالى:** ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم:90]

- في الآية طباق الإيجاب بين "السّماوات" و "الأرض".

- **يقول تعالى:**﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

- في الآية حذف، "واذكر" يوم، والواضح أنّ الآية لما كانت في أهوال يوم القيامة، جاءت كلها في جمل فعليّة، والتي تدلّ عادة على التّحوّل والحركة والانشغال.

- و نقف على التّقديم والتأخير في قوله ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾؛ بحيث إنّ أصل الجملة: فلم نغادر أحدا منهم، قدم الجار والمجرور للعناية والاهتمام، وللتأكيد على أن أحدا منهم لن يفلت من العذاب.

ومنه أيضا مجيء الفعل حشرناهم بصيغة الماضي، ومجيء الفعلين نسير وترى، ممّ يشكّل التفاتا؛ وهو من التّلوين الأسلوبي الذي يضفي على الأسلوب رونقا وجمالا.

يقول الزمخشري:"فإن قلت: لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى؟ قلت:للدلالة على أن حشرناهم قبل التسيير والبروز، ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك".[2]

[1] الزمخشري،**الكشاف**، ج6، مرجع سابق، ص:421.

[2] الزمخشري، **الكشاف**، مرجع سابق، ج3، ص:591.

- يقول تعالى:﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ إِنَّهُ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وردت الآية في أسلوب خبري تقريري، يقرّ بحالة الجبال يوم القيامة، في جملة فعليّة مضارعة تُنبئ بالحال.

- المقطع الثّاني ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾، جملة خبريّة، اسميّة جاءت لتعبّر عن الحالة التي ستؤول إليها الجبال في ذلك اليوم المهيب، لتأتي النّتيجة التّقريريّة، والتي ترجع الأمور إلى خالق الكون سبحانه.

- وجود في الآية صيغة المبالغة.
- كذلك نجد تشبيها بليغا؛ حيث شبه سير الجبال بسير السّحب في السّماء من شدّة الهول، وجه الشّبه هو السير ببطء وانسياب؛ وهو محذوف.

- ونقع على جناس الاشتقاق في"تَمُرُّ"و"مَرَّ".

- **يقول تعالى:** ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: 19]

جاءت الآيات في سياق التأمل والنّظر في دلائل وحدانيّة الله تعالى، والتّدبّر للاعتبار.

- صدّري الآيات باستفهام إنكاري؛ أي ينكر عليهم إهمال النّظر في دقائق صنع الله أي: كيف وجدت بهذا الوضع الباهر بأن نصبت على وجه الأرض ثابتا راسخا، قال في التحرير: « ...وتعديته بحرف "إلى" تنبيه على إمعان النّظر ليشعر النّاظر مما في المنظور من دقائق»[1]. ونجد في الآية من المحسنات البديعة توفق الفواصل في: "خُلِقَتْ"، "رُفِعَتْ"، "نُصِبَتْ".

[1] في ظلال القرآن نقلا عن علي الصّابوني ، مرجع سابق، ص: 02 / 552.

تناولنا في هذا الفصل الحقول الدّلاليّة من خلال سياق الآيات، فانتهينا إلى تسعة حقول كلّها تشترك في إظهار نعم الله على عباده، وقدرته.

ثمّ انتقلنا إلى الظّواهر البلاغيّة معتمدين على بعض الآيات التي أوردنها في الحقول الدّلاليّة، فوقفنا على ثراء القرآن الكريم بأوجه البيان وجمالية التّصوير، وطراوة الأسلوب، وصفاء العبارة.

خاتمة

خاتمة:

بحمد الله وفضله وُفّقنا إلى إنهاء هذا البحث، ومنه توصلنا إلى جملة من النّتائج، نذكرها في ما يأتيه:

1- إن وظيفة الجبال الأساسية في الأرض هي المحافظة على توازن الأرض عند الدّوران من أن تميد وتضطرب بأهلها.

2- عملية تكوين الجبال في الأرض تمت بأحد أمرين، الأول التّكوين من طبقات الأرض نفسها؛ لأسباب متعددة، وهو ما عبر عنه القرآن بالفعل (جعل)؛ الذي يفيد التّصيير والتّحويل من حال إلى حال، والثاني والذي عبر عنه القرآن بالفعل (ألقى) والذي يرجعه المفسّرون إلى تكوين البراكين، فالجعل أصل والإلقاء فرع.

3- وجدنا أنّ للجبال منافع جمة، من: تثبيت الأرض، الأدويّة، المأوى، قرار المياه في سفوحها...

4- تعدّد مسمّيات الجبل كل بحسب سّياق الآية، وبحسب الحقل الدّلالي الواردة فيه، وهذا التّنوّع دلالة على أهمّيّة الجبال في الكون.

5- في هذه المسميات لفظة الجبل هي الأصل، وما كان مرادفا لها فهو من قبيل الصّفة، وعادة ما يتّخذ اسمه من الحدث، كعرفات، والصفا والمروة، والطور، والرّواسي؛ والتي هي جبل سُمي" راسي"، لصفة الرّ والتثبيت.

6- تعدّدت الحقول الدّلاليّة بسبب وظيفة الجبل، وعلاقته بما حوله.

7- الأسرار البلاغيّة.

8- وظّف القرآن الكريم لفظة الجبل لبيان أمور عظيمة يعجز الإنسان عن فهمها وإدراكها لعجز حواسه وقصورها عن ذلك.

آيات الجبال زاخرة بالظّواهر البلاغيّة؛ بحيث وقفنا على: الجمل الاسميّة، والجمل الفعليّة البسيطة والمركّبة في أساليب خبرية،- أغراضها متعدّدة، من: تقرير، إلى تحذير، إلى تنبيه، وغير ذلك، كما تعدّدت الأضرب: من ابتدائي، وطلبي، وإنكاري- وأساليب إنشائيّة بصيغها المختلفة: الأم، والنّهي، والاستفهام، والنّداء، وهي الأخرى تنوّعت أغراضها بحسب الموضوع والسّياق، كلّ هذا يجعل القارئ مشدودا إلى القرآن الكريم: سمعا، وترتيلا، وحفظا، وعملا، بحيث منه يستقي صفاء العبارة وسلاسة الأسلوب، وحسن التّفكير.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

(1)الأندلسي محمد عبد الحق بن عطية، تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز،دار ابن حزم، (د.ت.ن).

(2)الأزهري ابن منصور محمد أحمد، تهذيب اللغة المصرية الدار المصرية للتأليف والترجمة دار القومية العربية للطباعة العربية، 1384هـ/ 1964م.

(3)البغوي ابن محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي معالم التنزيل ،دار طبية، الرياض، 1411هـ.

(4)البيضوي القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن محمد الشيرازي البيضوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الرشد بيروت، 1421هـ /2000م.

(5)أبي حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، 1413هـ/ 1993م.

(6)الخطابي، بيان إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1976م.

(7)الخوارزمي ابن قاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1430هـ/ 2009م.

(8)أبي الجعفر النحاس، معاني القرآن، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ

(9)الجراح رشيد، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، 22/04/04، dr-rasheed.com

(10) الديلمي خولة عبيد خلف، ألفاظ الطبيعة في القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2008م.

(11) الرازي فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب دار الفكر، (1401هـ_ 1981م).

(12) الرّاغب الأصفهاني،المفردات في غريب القرآن ، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية،(د.ت.ن).

(13) السامرائي فاضل صالح، لمسات بيانية، 05/22/ 2022 الساعة: 21.37 http://albayanalqurany.com

(14) السيوطي جلال الدين، تفسير الجلالين المسير، مكتبة لبنان ناشرون، 2003م.

(15) السيوطي جلال الدين،أسماء البقاع والجبال في القرآن الكريم،دار الأنوار_دمشق، 1998.

(16) السعدي عبد الرحمان بن ناصر، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة،1423ه/2002م.

(17) شلبي هند، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق (د.د.ن)_ تونس (1406 ه 2008م).

(18) الشوكاني محمد علي، فتح القدير، دار المعرفة بيروت_ لبنان (1428ه 2007).

(19) شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان،1495ه/ 1994م

(20) صحيفة الخليج، قم الليل إلا قليلا2022.3.23،(https: //www .alkhaleej.ae)

(21) الصوفي ماهر أحمد،آيات الله ف الجبال والصحاري والغابات، المكتبة العربية صيدا بيروت_ لبنان 1428ه.

(22) الصابوني محمد علي صفوة التفاسير دار القرآن الكريم،بيروت_لبنان،1402ه/ 1981م.

(23) الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن،مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت.ن).

(24) عمير خميس فراع، توظيف المكان من خلال الدرس الدلالي القرآني، مجلة الفنون والعلوم الإنسانية والاجتماع

(25) ابن عاشور محمد طاهر، تفسير التحرير والتنوير، دار السجون للنشر_ تونس، 1984م.

(26) الفيومي أحمد بن أحمد، المصباح المنير، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا، بيروت_ لبنان 1420هـ/ 1999م.

(27) القرطبي أبي بكر عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، 1467هـ/ 2006م.

(28) القاسمي جلال الدين، محاسن التأويل، (د.د.ن)، 1376هـ/1957م.

(29) لجنة من العلماء، تفسير الوسيط، مطبعة المصحف الشريف، 1413هـ/ 1992م.

(30) ابن كثير إسماعيل عمر، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم بيروت لبنان،1420هـ/2000م.

(31) مصليح الدين مصطفى القوجي الحنفي، حاشية محيي الدين شيخ زاده، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 1419هـ/1998م

(32) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، 1647م.

(33) الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حسين البصري، النكت والعيون، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ت.ن).

(34) مجمع اللغة العربية معجم الوجيز، مجمع اللغة العربي، (د.د.ن)، (د.ت.ن).

(35) مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، (1429هـ_2008م).

(36) مختار عمر أحمد، معجم اللغة العربية المعاصرة القاهرة، عالم الكتب 2008م.

(37) مجموعة من الأساتذة، معجم الأساسي العربي، (د.د.ن)، (د.ت.ن) .

(38) آل الناصر الدين الأمير أمين،الرافد /معجم لغوي، مكتبة لبنان، 1971م.

(39) النجار زغلول، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن، المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، (1429هـ_ 2008م).

(40) النجار زغلول من آيات الإعجاز العلمي، الأرض في القرآن الكريم، دار المعرفة بيروت _ لبنان، 1426هـ/ 2005م.

(41) نخبة من العلماء، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد الخامس لطباعة المصحف الشريف، 1430هـ/ 2009

فهرس المحتويات

ملخّص البحث:.....

الإهداء: .....

مقدّمـة: .....**أ– و**

التمهيد: **8**

الفصل الأول : الجبال والرّواسي

تمهيد: **13**

المبحث الأول: التّعريف بالجبال والرّواسي: **15**

أولا: الجبال:.....15

ثانيا: الرّواسي:.....17

المبحث الثّاني: التّعبير بألقى وجعل. **20**

المفهوم اللغوي للفعل جعل و ألقى......**20**

أولا: ألقى: 20

ثانيا: جعل: 27

المبحث الثّالث: العلاقة بين الجبال الرّواسي وغيرها من المسمّيات......**35**

الفصل الثاني: الحقول الدّلالية لآيات الجبال الرّواسي والظواهر البلاغيّة بها

المبحث الأول: الحقول الدلالية للآيات.....**42**

أولا: حقل الجبال والنّحل: 42

ثانيا: حقل الجبال وسقوط المطر: 43

ثالثا:حقل الجبال والسّكن والأمن: 44

رابعا:حقل الجبال والإنسان: لغة مشتركة مع الإنسان؛ السجود، التّصدع، الخوف، تحمّل الأمانة: 45
خامسا : حقل الجبال والألوان: 47
سادسا : حقل الجبال والأرض: 48
سابعا : حقل الجبال وأهوال القيامة: 50
ثامنا : حقل الجبال والقوة والصّلابة: 53
تاسعا : حقل التّدبر: 54
المبحث الثّاني الظّواهر البلاغية في الآيات: 56
الخاتمة: 70
قائمة المصادر والمراجع: 73
فهرس المحتويات 78